الأستاذة: أناهيد السميري

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

(الدورة الأولى)

(اللقاء الأول)

ألقي يوم السبت 26/ 5/ 1432هـ في الجمعية الفيصلية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سنناقش في هذه الدورة موضوع تأخّرنا عنه ثلاثة أشهر؛ وهو موضوع: الاستعداد لرمضان، لكن أي استعداد هذا الذي نريده؟ غالبًا الوعاظ وطلبة العلم يطرحون موضوع رمضان وقت الأزمة؛ وقت المفترض أن الإنسان قد انتهى من استعداداته وها هو يستقبل.

اعتبري رمضان ضيف–وهذه هي الحقيقة–وانظري متى ستستعدين؟ ومتى ستستقبلين؟

دائمًا الناس يسبقون الاستقبال بالاستعداد؛ وعلى قدْر مكانة الضيف على قدْر الزمن الذي يُقضى في الاستعداد. ولنا في صحابة النبي–صلى الله عليه وسلم–خير قدوة ومثال، فقد كانوا قبل أن يأتي زمن رمضان بستة أشهر وهم يطلبون من الله أن يبلغهم رمضان وهم في خير حال.

لكن السؤال: بماذا يستعد لرمضان؟ بكلمة واحدة مختصرة يستعد لرمضان بالإيمان.

وسيتبين لنا ماذا نقصد بالإيمان وكيف يكون هذا الاستعداد؟ نحن نتوسل إلى الله أن يكون هذا اللقاء لقاءً نافعًا حقيقةً وليس مجرد كلام.

نبدأ بالقاعدة التي بنينا عليها كل هذا النقاش، من أين لكم أن تقولوا إن رمضان يُستعد له؟

طبعًا نحن يكفينا فعل الصحابة، لكن لا بأس سيتبين لنا من قواعد كثيرة أن هذا عمل صحيح.

نبدأ بالقاعدة التي تقول:

تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ.

لكن أين الرخاء وأين الشدة في موقف مثل موقف رمضان؟ ما علاقة الرخاء والشدة برمضان وغيره من الشهور؟

- الشدة: وقت ضيّق ووضع حرج، الإنسان يريد أن يخرج منه إلى نتيجة.
- والرخاء: وقت فيه سعة.

لو قارنّا هذا برأس مالنا وهو (الوقت) ثم هذا الوقت بالصحة يكمل، وبدون الصحة يبقى هو رأس المال؛ لأنك أنت وإن كنت بدون صحة وعندك وقت يبقى هذا المرض سبب لرفعتك عند الله–عزَّ وجلَّ–وقد أقسم–سبحانه وتعالى–بالعصر الذي هو الزمن، العمر الذي هو رأس مال الناس، ثم بعد هذا القسم انقسم الناس لنوعين:

- ناس في خسر.
- وناس في ربح.

نحن في هذه الأيام (جماد الثاني ورجب وشعبان) يعتبر زمن رخاء، وتأتي الشدة في رمضان. يقال لك: تضاعف الأعمال، الفرص أكثر، نريدك أن تقوم الليل، وتصوم النهار وتختم القرآن وتحسن إلى الوالدين وتفعل وتفعل... كلها مرة واحدة في ثلاثين يوم! لو كنت مقطوع الصلة بهذه الأعمال ماذا سيكون عليك؟ سيكون من الصعب جدًا أن تمارسها كما ينبغي جامعًا قلبك كما ينبغي–هي تمارس لكن ليس كما ينبغي–.

في 30 يوم يقال لك: كلَّما أكثرت من قراءة القرآن كلما ارتفع أجرك وعظم. ويقال لك: كلَّما وقفت على قدميك تقوم في الليل جامعًا قلبك كلَّما زاد أجرك إلى أن تأتيك الشدة في العشرة الأخيرة، ويقال لك: قلل من نومك وقلل من وقت أكلك واغتنم العشر.

هل تتصورين أن هذا أمر يستطيعه شخص لم يعط نفسه فرصة للاستعداد؟! لا، ثم أنت إذا تعرَّفت إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، فما موطنه هنا في رمضان؟ موطنه: أنك لو تعرفت إلى الله بالأعمال الصالحة؛ بقراءة

القرآن، بكثرة ذكره، بمحاولات جادة لقيام الليل ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، وفقك الله، لإحسانها، ليس مجرد ممارستها، وإنما للإحسان فيها.
تصوري من 1–6 إلى 30–6 تختمين القرآن، ثم من 1–7 إلى 30–7 تختمين مرة أخرى، على أنك تختمينه كل شهر بتدبّر، ومثله في شهر شعبان. ماذا سيحصل في علاقتك مع القرآن؟ ماذا سيحصل في كلمات القرآن التي تسمعينها؟ ماذا سيكون عندما نتفق على برنامج هذا الشهر؟ ننتبه للأمثال في القرآن الشهر القادم ننتبه للقصص في القرآن الشهر القادم ننتبه...المفترض أن يكون هذا هو الحال لكن ها نحن أمام ثلاثة أشهر.

تصوري عندما تدخلين إلى رمضان والعهد قريب بهذه المعارف! فالتعرف إلى الله في الرخاء يورثك إحسان في الشدة، وهذه القاعدة تنفع في الدعاء، في الصلاة، تنفع في سائر أحوال العبد. تعرف إلى الله في الرخاء، عندما يكون عندك وقت، والأمر ليس في حال اضطرار ويبقى لسانك لاهجًا بالدعاء، وقت الشدة ستجد لسانك طلقًا في دعاء الله. إذا كان حالك في الرخاء أنك طوال الوقت تدعو الله، عندما تأتي الشدة سينطلق لسانك في دعاء الله وهكذا. أنت في هذا الزمن اعتنيت بالقرآن، اعتنيت بالإيمان في رمضان وقت الشدة وقت الضيق ستجد نفسك تستطيع أن تحسن في زمن ضيق.

وهذه القاعدة قد رددناها مرارًا وتكرارًا في سنوات ماضية ونحن نقول: عمرنا في السنة إحدى عشر شهرًا رخاء وعندما نأتي في رمضان يكون عندنا شدة، كل أنواع العبادات يقال لك: اجمعها هنا، ومثله طبعًا في الحج وربما أكثر منه، لكن في الحج شدة أكثر من شدة رمضان عشرة أيام مطلوب منك أن تحسن فيها إحسانًا تامًا. فالمقصد أن مثل هذه البرامج أو الاجتماعات أو الدورات يقصد بها تطبيق هذه القاعدة، أن ننتبه لا نكون في غفلة عمَّا سنقدم.

يأتي من يقول: ربما يغفل الإنسان يغفل عن هذا المفهوم الذي هو: (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) نقرأ كلام للشيخ عبد الكريم الخضير–حفظه الله–يتكلم فيه عن هذا الجزء.
قال الشيخ عبد الكريم الخضير–حفظه الله–عضو اللجنة الدائمة للإفتاء: "الإنسان يذهب في الأوقات الفاضلة وفي الأماكن الفاضلة ليتفرّغ للعبادة لكنه لا يعان! لماذا؟" يذهب في رمضان ويترك كل شيء خصوصًا نحن الحمد لله نستمتع بإجازة في شهر رمضان يذهب ويترك أحواله وأوضاعه ويذهب إلى أحد الحرمين ليتفرغ

للعبادة، لكن يجد نفسه لا يعان، يجد نفسه نعسان، يجد نفسه مشتت، لماذا؟! قال: "لأنه لم يتعرّف على الله في الرخاء، يهجر القرآن طوال العام، وإذا ذهب إلى الأماكن الفاضلة يريد أن يقرأ القرآن في يوم كما كان عليه السلف أو في ثلاث أيام! كلا، لا يمكن" لا بد أن تكون في الرخاء قد عمرت أيامك من أجل أن تعان على الإحسان، لا تعان على الإحسان إلا عندما تتعرف إلى الله في الرخاء. يقول: "ويسمع الحديث الصحيح: ((مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))[1] ويقول: (المسألة أربعة أيام، لن أتكلم بكلمة)؛ ولكن هل يستطيع أن يسكت؟! هل يعان على السكوت؟! لا يمكن وقد فرط في أوقات الرخاء!".

وعلى هذا سنخرج من هذا النقاش بمسألة غاية في الأهمية من كلمة قالها الشيخ: (لكنه لا يعان) الاستعانة منك يا عبد، الفضل من الله أن يعينك، فأنت لا تتصور أنك محسن بقوتك، لا تتصور أن إحسانك في رمضان بقوتك. وقد اتفقنا سابقًا على هذه القاعدة ولا زلنا ونكررها: ابتلاؤنا ليس في قوانا الذاتية. نحن أصلاً عبيد لا قوة ذاتية عندنا، إنما كل بلائنا في قوة استعانتنا بالله. ففي الرخاء تدرب نفسك على العمل الصالح مع الاستعانة، الجزاء أن تعان وقت الشدة.

ثم قال الشيخ: "ورأيت شخصًا في العشر الأواخر من رمضان بعد صلاة الصبح، وظاهره الصلاح قبل أن يقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، شغل الجوال وتكلم إلى أن انتشرت الشمس"!! هذا الوقت يعتبر وقتًا فاضلًا في الأيام العادية فكيف في رمضان كيف في العشرة الأخيرة كيف وهو في الحرم؟! فتصور الجمع بين كل هذه الفضائل بعد ذلك هذا الرد. قال الشيخ: "فهل مثل هذا يليق بمسلم هجر أهله ووطنه وتعرض لنفحات الله أن يكون بهذه الصفة، وعلى هذه الحالة؟!" انتهى كلامه. الجواب: لا، طبعًا، لكن السؤال: لماذا يحدث مثل هذا؟ لماذا نجد أنفسنا في الحرم مثلًا ونفتح المصحف بعدما نقرأ آية أو نقرأ صفحة نجد أنفسنا نتلفت يمينًا ويسارًا؟ لماذا لم نعان على أنفسنا؟ لأن العبد من أجل أن يعان لا بد أن يعبد الله–عزَّ وجلَّ–بعبادة الاستعانة، وهذا يحتاج إلى تدريب إلى زمن ويكون هذا الزمن في وقت الرخاء، ها نحن يفصلنا عن رمضان ثلاثة أشهر المفترض أن تلاحظ دائمًا زاد، تستزيد به وتستعد به لاستقبال مثل هذا الشهر العظيم، وأنت ترى أن فرصة أن تعيش إلى وقته، ثم يمكن ألَّا تعيش! فنقول:

قَدْ لا يُبَلِّغكَ إلى رَمَضَانَ أجلُكَ فَلْيَسْبقْ إليْهِ قلْبُكَ.

(1) "صحيح مسلم" (كتاب الحج / باب فِي فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَيَوْمِ عَرَفَةَ /1350)

ليس شرطًا لهذا الاستعداد أن تكون ممن يبلغ الزمن، لكن يمكن أن يسبق قلبك إلى الشهر قبل بلوغه. المقصد أن هذا الاستعداد لا يمكن أن يضيع، ستجد آثار الاستعداد هنا وعندما تبلغ هذا الشهر الفاضل.

"نستعد لرمضان بالإيمان"، من أين لنا بهذا؟

نأتي لنصين محفوظين متفّق عليهما، لا يوجد أي خلاف لا عند أهل الحديث ولا عند الخلق أهل القبلة.

قال رسول الله–صلَّى الله عليه وسلَّم–: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[1].

وقال: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[2]

من أين آتي لنفسي بالإيمان في رمضان الإيمان؟

لا بد أن أدخل رمضان ومعي الإيمان، إذًا الإيمان كأنه مطلب سابق، الإيمان موجود أصلًا وبعد ذلك تدخل وتصوم ومعك إيمان، والإيمان سيأتي لك بالأمرين، أهم عملين: الفرض (الصيام)، وأعظم نافلة في رمضان (قيام الليل)، وقيام الليل له تفاصيله.

ما الشرط من أجل أن يكون صيامك وقيامك سبب لمغفرة ذنوبك؟

لا بد من شرطين: ((إيمانًا واحتسابًا)).

ما معنى احتسابًا؟

شخص قام يصلي وفي قلبه مشاعر: (يا رب أنا أحتسب عليك هذا العمل أنا قمت من أجلك، وأنتظر الأجر عندك، والناس لا قيمة لهم عندي ولا أريد ثناءهم ولا أريد رضاهم، فقط الأجر عندك يا رب).

ننظر لحالتنا وقت الصيام والقيام، لنتحدث عن الناس الذين يواصلون ويؤذن الفجر ثم يصلون الفجر وينامون في النهار، سيأتي رمضان في الصيف سيكون مبكرًا، لنفترض أن الساعة الرابعة وبدأ يقلب نومه ويشعر بدوار سيدخل نهار رمضان وقت (الاحتساب) أين عقله؟! يصلي فقط الفجر كما اتفق، ويقوم الليل، أيضًا هو يقوم الليل ما حالته؟ الناس ذاهبون لصلاة التراويح نذهب معهم يأتي في العشرة الأخيرة ذاهبين إلى التراويح والتهجد نذهب معهم، لا تتصوري أن (احتسابًا) هذه تأتي في تلك الساعة، الاحتساب هذا تدريب عملي ولا يأتي أحد بعد قول

(1) "صحيح البخاري" (كتاب الإيمان / باب تَطَوُّعُ قِيَامِ رَمَضَانَ مِنَ الإِيمَانِ / 37)، "صحيح مسلم" (كتاب صلاة المسافرين / باب التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ وَهُوَ التَّرَاوِيحُ / 1815).

(2) "صحيح البخاري" (كتاب الإيمان / باب صَوْمُ رَمَضَانَ احْتِسَابًا مِنَ الإِيمَانِ / 38)، "صحيح مسلم" (كتاب صلاة المسافرين / باب التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ وَهُوَ التَّرَاوِيحُ: 1817).

النبي–صلى الله عليه وسلم–: (إيمانًا واحتسابًا) ويقول: لو لم أجمع قلبي وركزت أن هذا العمل لله، هل أدخل في الحديث أم لا؟! نحن نقول: من جهة كونك فعلت–إن شاء الله–تكون ممن فعلوا، لكن النبي–صلى الله عليه وسلم–يشترط الشرطين يقول لك: ((إيماناً واحتسابًا)) أي طوال السنة غافلين عن (احتسابًا) ونأتي ونقوم في رمضان وأيضًا غافلين عن (احتسابًا)! الحل: ليس في وقت رمضان أفتش عن (احتسابًا) وأقول: ذهبت عشر ليالي وأنا لم أجمع قلبي على إني يا رب أريد أن يكون هذا العمل لوجهك واحتسب كل كلمة أقولها، ذهبت العشرة أيام ماذا بقي لي؟ يأتي في العشرة الثانية وقد ذهبت همتنا العالية!

المقصد أن هذا الاحتساب مثل الإيمان يحتاج تدريب، الناس اليوم كلهم مقتنعين أن كل شي يأتي بالتدريب.
خطك ليس جيدًا، أدرِّبك، مشيك ليس جيدًا–لو كان طفل صغير–أدرِّبك، حتى الأعمال التعبدية تحتاج لتدريب لكن تدريب القلب، الاحتساب هذا يحتاج إلى تدريب القلب من أجل ألَّا يأتي شهر كامل ويمر كل يوم وأنتِ تقولين: والله أنا غفلت وربنا غفور رحيم. لا ننكر أن الله غفور رحيم، أنا لا أكلمك على أنك ستدخلين إلى عذاب، بل أكلمك عن الدرجات العلا التي نخسرها بسبب انشغالنا عن قلوبنا هذا هو الأمر الخطير.

هل تتصورن أن درجات الجنة مثل هذا الدور والدور الذي يليه! لا، بل الناس الذين في أدنى الجنة يرون الأعلى منهم مثلما يُرى الكوكب الدري! مثلما يرى اليوم أهل الأرض النجم الذي فوق يلمع من بعيد! هذه فوارق في الدرجات ما هو الفارق مع إن الأعمال متقاربة؟! قلوبهم، العناية بها، تدريبها، بذل الجهد من أجل أن ينجز الإنسان عملًا بقلبه ليس فقط بجوارحه.
المقصد سواء أقول: (إيمانًا أو احتسابًا) في الاثنين النتيجة: لا بد من تدريب سابق على هذه الأعمال.

إلى الآن عندي ثلاثة أسباب تجعلني أفتح هذا الموضوع:

1. تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.
2. قَدْ لا يُبَلِّغكَ إلى رَمَضَانَ أجلُكَ فَلْيَسْبقْ إليْهِ قلْبُكَ.
3. ترتيب الأجر على الصيام والقيام مرتب على ما مع العبد من إيمان.

نحن ندخل هذا الشهر العظيم غالبًا بهمة عالية، نجلس عشرة أيام أو اثنا عشر يومًا إلى خمسة عشر يوم ثم ماذا يحصل؟؟ تقل الهمة، وأقول لنفسي: لا بأس فقط خمسة أيام ثم تأتي العشرة الأخيرة أشد همتي! وأجد نفسي في

الوراء! ما العلة؟ ولماذا كل سنة يحصل ذلك؟! وكل سنة أجد نفسي أكثر سرعة في نزول الإيمان؟! السبب: الإيمان. أي أن الإنسان أصلًا فيه (ضعف إيمان) فيأتي موسم الطاعة وما يكون نفسه عميقًا يستطيع أن يتجاوز زمنًا محدودًا وبعد ذلك ينزل، نحن متفقين على قاعدة عند أهل السنة والجماعة يرددونها دائمًا: (إن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) كلَّما زدت طاعة كلَّما زاد إيمانك كلَّما أقبلت على الأعمال أكثر.

المفترض وفق هذه القاعدة أن أكون ثاني يوم من رمضان أفضل من أول يوم؛ لأنني قمت بأعمال صالحة في أول يوم، فالمفترض أنه زاد إيماني فالمفترض أن أكون ثاني يوم أحسن، لكن ليس منطقي أن أجد نفسي بعد خمسة عشر يوم أنني كنت في اليوم الأول أو الثاني أحسن من السادس عشر أو السابع عشر! إذاً أين المشكلة؟ أنه حتى هذه الأعمال فيها من النقص ما يسبب عدم زيادة الإيمان، إذًا أصبحت العلَّة أساسًا في الإيمان، الإيمان فيه خلل أو عدم عناية أو عدم تفتيش لإشكالاته، من أجل ذلك ما نجد الأعمال تصب في الإيمان، المفترض أن تصب الأعمال في الإيمان فتزيدك إيمانًا وإذا زادتك إيمانًا ويقينًا وكنت أول الشهر تعمل وأنت عندك شيء من الثقل فآخر الشهر تعمل وأنت عندك شيء من القوة. لماذا؟ لأن اليقين يزيد ويزيد إحساسك بأن الدنيا ستذهب لا بد ولا بد أن يذهب أهلها ولا بد أن استعد لما وراء ذلك وهذه فرصة من أجل أن أعظم أعمالي، فالمفترض أن يزيد الإيمان الذي يسبب الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة. نحن نسأل حقيقة عندما يأتي آخر شهر رمضان: هل يحصل الإقبال على الآخرة أم الإقبال على الدنيا؟ الجواب: الإقبال على الدنيا والاشتياق لها! بسبب أننا نقسم الدنيا إلى ثلاثة أقسام:

- العشرة الأولى الدنيا في الأكل.
- العشرة الوسطى الدنيا في الملابس.
- والأخير في ترتيب المنزل.

وكل هذا من الوراء ولا أحد يحس أن هذا ينخر في الإيمان، ثم اسأل الناس عمومًا والصلَّاح خصوصًا كيف تستهوينا؟! –خصوصًا النساء–عندما نتكلم عن رمضان كيف تستهوينا تلك الأطعمة والكلام الدقيق فيها؟! وكلها تحتها أعذار مائة ألف عذر عندنا، تقول: نريد شيء خفيف. وإلى أخر ما نتكلم!

هل تفهم من هذا أنه ممنوع الأكل والشرب؟

الجواب: لا، لكن أنتِ في شدة وتفكرين في هدوء ماذا نأكل وما هي الحلوى! هذا يعني أنكِ غير مدركة أننا في حالة اضطرار وشدة واستنفار؛ من أجل ذلك لا بد أن نُقبل إقبالًا، وأي شيء خفيف يكفينا زادًا، لكن نحن نتفنن مع الإعلام والتجار والصبغة الاجتماعية العامة فتجدين في النهاية أن الشهر مقسَّم إلى عشرة وعشرة وعشرة. وكلها لأعمال الدنيا! لا نكذب على أنفسنا، فنحن عندنا نهم للدنيا ونحن لا نشعر، وطبعًا هذا عدوُّكِ يستغل الفرصة التي قبل رمضان من أجل أن يجعل هذا الطمع شيء يسري فيكِ مثل المخدرات–أسأل الله أن يحفظ الجميع–تسري في دم الإنسان، عندما يأتي رمضان لا تستطيعي أن تتخلصي منها، فالشيطان يُحبس وآثار إغرائه بالدنيا لا زالت على الخلق، وأنتِ يكفيكِ في هذا أن تذهبي في أخر خمس أيام من شعبان إلى أماكن الأطعمة والمواد الغذائية وانظري ماذا يحدث؟! كأننا مُقبلين على مجاعة! على كل حال، هذا كله من فعل العدو، بالإضافة إلى هوى النفس، بالإضافة إلى مائة عذر!

بما أن الاختبارات قريبة جدًا من رمضان تأملي لو قامت ابنتكِ من دراستها وذهبت لتصنع لنفسها كأس شاي وأرادت أن تأكل وأخرجت من الأسفل شيء، ومن الفريزر شيء من أجل أن تعمل كذا وفتحت الفرن ماذا تقولين لها؟! أي محاضرة التي ستعطيها لها؟؟ كلام عن الوقت وأهميته وأنها أيام محدودة وانظري كيف نحاضرهم محاضرة أحسن ما تكون في الكلام عن العناية بالوقت والعناية بالهدف، اختلطت الدنيا علينا، اختلف الأمر أصبحنا لا نعلم ما هو الاختبار الحقيقي الذي نحن نعيشه؟ ولا زلت أقول: إن هذا ليس تزهيدًا لا في الطعام والشراب، ولا تزهيدًا في الاختبارات والامتحانات. هذا فقط من أجل أن نقدِّر الأمور قدرها، وانظري كيف أن غالب الناس الذين يستعملون تغيِّر أثاث ومفروشات بيوتهم في أخر رمضان. الآن في العشرة الأخيرة كان لا بد أن يأكلوا كذا وكذا، وعندما يأتون لفرش بيوتهم والاهتمام به يتنازلون عن المأكولات. كل هذا إشارة على أن الدنيا سرت وجرت في الدماء، وها هي آثارها تأتي في الزمن الفاضل، الناس يرجون أن يكونوا مجاورين للحرم يرجون أن يقتربوا له ساعة، وناس كثيرين يكونون قريبين من الحرام والله! لا يوجد في قلوبهم تعظيم له ولا شوق لماذا؟ سنعود لأصل القضية؛ الإيمان هو المشكلة، ومن أجل ذلك نحن نناقش أسباب تزيد إيماننا، فإذا زاد إيمان العبد كانت عنده قوة في طلب الإعانة وإذا طلب الإعانة لا يظن أنه يمكن أن يخذل. واحد عنده إيمان وطلب الإعانة لا يمكن أن يخذل.

نأتي الآن إلى الأدلة في كتاب الله–عزَّ وجلَّ–التي تتكلم عن مسألة زيادة الإيمان، من أجل أن تتصور أن زيادة الإيمان لها طريقها، والله–عزَّ وجلَّ–يحيي الإنسان حياة ويجري عليه أقدار من أجل أن يتبصر فإذا تبصر ازداد إيمانًا.

1. قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيمًا}[1].
2. {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ}[2].
3. عَنْ عَبْدِ الله بن عَمْرو بن العَاص–رَضِيَ الله عَنْهُمَا–قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله–صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ((إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخلق فِي جَوْفِ أَحَدكُمْ كَمَا يَخلقُ الثَّوْبُ، فَاسْأَلُوا الله أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ))[3] ماذا يحصل للإيمان في القلوب؟ إنه يبلى–كما في الرواية الثانية–مثل الثوب الذي تتحلل خيوطه فيصبح سهل التمزق، فالإيمان هكذا في القلب وهذا تشبيه للإيمان باللباس، فإذا لبس الإنسان حلة الإيمان كان هذا سببًا لانتفاعه بكل الأزمان كل الأوقات وإذا تخرَّق هذا الثوب، ضعف الإنسان في الانتفاع بالفرص.

الحياة كلها فرص للارتفاع والقربى منه–سبحانه وتعالى–؛ زوج، أولاد، جيران، نفس، مواقف، أحداث، كل هذه عبارة عن فرص عليَّ أن أجعلها جسورًا للوصول إلى الله–سبحانه وتعالى–والارتفاع عنده. ما الذي يضعف انتفاعنا بهذه الفرص؟ ضعف الإيمان؛ نلبس ثوبًا خفيفًا ضعيفًا من الإيمان فتتكرر الفرص وأنا لا أنتفع منها.

ما المطلوب الآن؟

لا بد أن تعرف أن إيمانك سبب صبرك على الطاعة وإيمانك سبب صبرك عن المعصية وإيمانك سبب صبرك على أقدار الله، كلَّما قوي الإيمان كلَّما قوي الصبر على الطاعة. فأصبح قيام الليل–مثلًا–في رمضان يسير

(1) [سورة الفتح: 4]
(2) [سورة المدثر: 31]
(3) أخرجه الحاكم (1 / 4)، وحَسَّنَه الألباني (السلسلة الصحيحة، 4/ 113).

لوجود الإيمان؛ والإيمان يسبب زيادة الصبر على الطاعة؛ كلَّما زاد إيمانك كلَّما زاد صبرك عن المعصية، كلَّما زاد إيمانك كلَّما زاد صبرك على الأقدار. من الجهة الأخرى كلَّما زاد إيمانك كلَّما أصبح عندك حساسية شديدة للنعم؛ فتشعر بأدق النعم، ومن ثم يزيد الإيمان ويزيد الشكر، يزيد الإيمان ويزيد الصبر، وأنا أسير في الحياة إذا وجدت أن شكرًا ضعف، وصبرًا ضعف، بأقل مراجعة تفهمين أن إيمانك ضعف، أريد أن أزيد شكري وإحساسي بالنعم وأزيد صبري على طاعة الله وعن معصية الله وعلى أقدار الله، أزيد إيماني.

إذًا (زيادة الإيمان) هذا مطلب طوال الحياة، وهو مطلب تريدينه عندما تدخلين في زمن فاضل إلى عمل فاضل، تأتي بأسباب تزيد لك الإيمان.

السؤال: هل أفتش في يومي لأعرف ما أنا فيه من الإيمان؟

عن أبي الدرداء–رضي الله عنه–أنه قال: إن من فقه المرء أن يعرف إيمانه هل هو في زيادة أو نقص؟! هذا الموضوع ما مكانه في قائمة المهام؟ المفترض أن يكون في الأعلى، لكن عمليًا إلى أي درجة أنا أفتش؟ أنتِ تقولين: أنا لا أعرف الإشارات كيف يزيد وكيف ينقص؟ لو كنتِ مهتمة بالإيمان وشعرتِ أن الإيمان هو القاعدة، وعلى أساس هذه القاعدة يكون:

- الصبر ويكون الشكر.
- وتكون بقية الطاعات.
- ويكون التلذذ بحلاوة المناجاة.
- ويكون سهولة الدعاء.
- ويكون حسن الأخلاق.

تصوري!! كل شيء مبني على ما معكِ من إيمان، أنا أشعر أن أخلاقي تدهورت، أحد أولادي يكلمني أجد نفسي سريعة الغضب مع أني قبل يومين أو ثلاثة كنت في حال أحسن، نقول: أكيد أن هناك عوامل بدنية سبَّبت مثل هذه التأثيرات ارتفاع الغضب وانخفاضه، نحن ما ننكر العوامل البدنية، لكن نقول: عندما يزيد الإيمان يُحجب الإنسان ويُحفظ عن المعاصي، والعكس عندما ينقص الإيمان يوكل الإنسان إلى نفسه.

فقضية الإيمان ليست قضية يسيرة؛ بل لها علاقة بالاستعداد لرمضان، والإنسان لا يستعد لرمضان إلا بالإيمان؛ لأن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: ((من صام رمضان، من قام رمضان، إيمانًا واحتسابًا)) والاحتساب مبني على الإيمان، إذًا وأنا مُقبلة على رمضان يجب أن يكون معي إيمان من أجل أن أحقق الشرط

الذي به يغفر لي، لكن لا تظني أن القصة فقط في رمضان، أنتِ طوال الحياة تحتاجين إلى مقياس تقيسين به إيمانكِ، ولهذا كم من شواهد لنقص الإيمان يشهدها الإنسان على نفسه وهو لا يشعر.

نأتي بشاهد مشهور: (انتشار ظاهرة العري في المجتمع النسائي) ماذا تقول بصريح العبارة؟

ظاهرة العري هو عدم الحياء، لكن نقص الحياء إشارة لنقص الإيمان، بكلمة واضحة من كلام النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ))[1] وكثير من النصوص تتكلم عن الحياء والإيمان واقترانهما. فالآن قليل الحياء يشهد على نفسه أنه ضعيف الإيمان، فبعد هذا يقول: أنا ما أدري إيماني قوي أم ضعيف!! ثم يقول: الإيمان في القلب! نقول: نعم، الإيمان في القلب وما تفعله شاهد على ضعف الإيمان؛ لأن الحياء تعبير عن الإيمان، لا نقف عند هذا المثل فقط لا بد أن نتصور أن هناك شواهد كثيرة إما على ضعف الإيمان وإما على نقص الإيمان، كم مرة بحثت في كتاب الله–يا مؤمن يا من تود أن يزيد إيمانك–عن قول الله تعالى: (إن الله لا يحب) أو (إن الله يحب)؟ أي عمل تفعله يقال لك: إن الله يحبه معناه أن فيك إيمان فعلت فعلًا يحبه الله من أجل الله، وكل مرة تفعل فعلًا لا يحبه الله، هذا شاهدًا على نقص إيمانك لأنك تعرضت لما لا يحب الله ومع ذلك فعلت. فالمقصد أن هناك شواهد على زيادة الإيمان وعلى نقصه، العناية بموضوع الإيمان وجعله على رأس المهام والاهتمام به من جهة ملاحظته زائدًا أو ناقصاً هذا موضوع غاية في الأهمية ليس له علاقة فقط برمضان إنما بالحياة كلها.

دائماً احرص أن تفتش نفسك في موطنين:

- قبل مواسم الطاعة.

فتش من أنت في إيمانك وسلوكياتك؟! هل هذه تأتي بشخص مؤمن أم غير مؤمن؟!

- بعد حالات انشغالك في الدنيا.

ندخل في الدنيا في أزمات أولادي يختبرون أو أفرش بيتي إلى أخر الأشياء التي تشتغل في الدنيا، الآن بعدما أمرُّ بأزمة دنيوية وأجد نفسي انخرطت في الدنيا أيام وليالي آتي بعدها أفتش عن إيماني ماذا حدث له؛ لأن الانهماك في الدنيا لا بد أن يضعف الإيمان.

(1) "صحيح البخاري" (كتاب الإيمان/ بَابٌ أُمُور الإِيمَانِ/ 9)، "صحيح مسلم" (كتاب الإيمان/ باب شُعَبِ الإِيمَانِ/ 161).

فكلَّما زاد زمن الانهماك في الدنيا كلَّما ضعف الإيمان.

الحل: التفتيش أمر مهم وطلب أسباب زيادة الإيمان أمر مهم، وأهم منه أن نبقى ملاحظين إيماننا فنسأل الله أن يجدد إيماننا؛ النبي–صلى الله عليه وسلم–يقول:((فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم)) راجع قائمة دعواتك وانظر كم مرة تسأل الله أن يجدد إيمانك ويزيده؟ غفلتك عن هذا معناه أن الإيمان ليس ذا بال وضيعت الأساس الذي يبنى عليه كل العمل.

حرص السلف على ازدياد إيمانهم:

- كان عمر–رضي الله عنه–يقول لأصحابه: "تعالوا نزدد إيمانًا".
- مثل هذه الاجتماعات سبب من أسباب زيادة الإيمان هنا أو في أي مكان تنشر فيه السنة؛ هذه اجتماعات تسبب زيادة الإيمان فكان عمر–رضي الله عنه–يقول: تعالوا نزدد إيمانًا، معنى هذا أنه من فعل السلف الصحابة–رضي الله عنهم–أنهم كانوا يجتمعون ويعتنون في اجتماعهم بزيادة الإيمان.
- وكان مثله يقوله ابن مسعود–رضي الله عنه–يقول: "اجلسوا بنا نزدد إيمانًا"؛ ويقول في دعائه:"اللهم زدني إيمانًا ويقينًا وفقهًا".
- وكل هذه الأدعية إشارة ودليل على فقهه؛ لأن الإيمان لو زاد صلحت الأعمال، نقص الإيمان سبب لنقص الأعمال أو نقص صلاحها، فعندما تجد جفاء في قلبك لا بد أن تعرف أن الذي ضعف هو الإيمان.
- وكان معاذ–رضي الله عنه–يقول: "اجلسوا بنا نؤمن ساعة" نجلس مجلسًا نذكر فيه الله–عزَّ وجلَّ–فيزداد الإيمان.

أسباب زيادة الإيمان الآن:

نستعد لرمضان بالإيمان، الاحتساب ناتج الإيمان، أن تحتسب وقلبك يرقب رضا الله هذا مبني على إيمانك، قوة الإيمان تيسر الاحتساب، فأنت تدخل على هذا الشهر العظيم وعلى كل مواسم الطاعات مستعدًا بالإيمان، لكن قررنا ونحن نتناقش أن الاهتمام بالإيمان ليس حكرًا على الاستعداد لرمضان أو للحج أو للمواسم المباركة إنما هو حياة يجب أن تعيشها دائمًا، يجب أن تكون فقيهًا، تُعدُّ جاهلًا لو كنت تعيش الحياة ولا تعرف أين أنت من الإيمان، هل إيمانك يزيد أو ينقص؟ المفترض أن تكون خطة حياتك فيها بذل للجهد لكي تأتي بأسباب زيادة الإيمان.

نرى الآن الكلام حول أسباب زيادة الإيمان: المتكلمين من أهل العلم–جزاهم الله خيرًا–في أسباب زيادة الإيمان بعضهم أجملوا وبعضهم فصلوا، من أجمل في أسباب زيادة الإيمان حوى كلامه كلام من فصَّل، ومن فصَّل ستجدين أن تفصيله سيعود على كلام من أجمل.

نبدأ أولًا، نحدد أسباب زيادة الإيمان بثلاث أمور:

- أولًا: تعلّم العلم النافع–وهذا رأس كل سبب–
- ثانيًا: التأمُّل في آيات الله الكونية.

الثاني مبني على الأول، حتى في الإجمال الأسباب مبنية بعضها على بعض.

- ثالثًا: الاجتهاد في الأعمال الصالحة والمداومة عليها.

هذا كلام إجمالي، اتفقنا أن هناك أسباب تسبب زيادة الإيمان، وأنت تأخذها وقائم في قلبك أنك تريد زيادة إيمانك، وسترى أثر ذلك، ونلاحظ أن الأسباب مبني بعضها على بعض، فالسبب الرئيس هو تعلُّم العلم النافع ومنه يخرج السببين: التأمل في آيات الله الكونية والاجتهاد في الأعمال الصالحة. بدون العلم لا تستطيع أن تتأمل في الآيات الكونية ولا تستطيع أن تترجمها وبدون العلم لا تهتدي إلى العمل الصالح الذي يحبه ربنا.

أهم شي نهتم به في مثل هذه اللقاءات العامة أن نهتم بالسبب الأول.

[تعلُّم العِلْم النافع]: تعلم العلم النافع مبني على تقوية الصلة بقال الله وقال رسوله–صلى الله عليه وسلم–لا يوجد عندنا مخرج آخر، وعلى ذلك المفترض أننا سننكب على كتاب الله–عزَّ وجلَّ–؛ لكن المشكلة أن الانكباب والعناية بكتاب الله أخذت وجهات نظر؛ كل واحد ذهب إلى موطن في الانكباب، نتفق على طريقة توصلنا إلى المراد. اليوم نفصِّل في العلم النافع وماذا يكون في قلبك حال تحصيله؟ وتهتم بماذا؟ لأن هناك أشياء كثيرة تدخل تحت العلم وما هي أولوياته؟ فمَن وُفِّق لهذا العلم، فقد وُفِّق لأعظم أسباب زيادة الإيمان: قال الله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[1]

(1) [سورة آل عمران: 18]

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ} هذه الكلمة التي نسأل الله أن نعيش عليها وعليها نموت! شهد الله لنفسه هذه الشهادة وشهدت أيضًا الملائكة، وشهد أهل العلم بلا إله إلا الله، لكن شهادة حق تثقِّل الميزان، وهل يمكن أن يشهد شهادة لا تثقِّل الميزان؟ نعم، هذه الشهادة تخرج مِنْ المؤمن ومِنْ المنافق، ما الفاصل بينهما؟ إيمانه الواقع في قلبه. ما الذي يأتي بإيمانه الواقع بقلبه؟ أن يكون عنده علم ويقين. إذًا ماذا نقول؟ أن شهادة أولوا العلم بلا إله إلا الله شهادة ذكرها الله مع شهادة الملائكة إشارة إلى قوة إيمانهم؛ أولوا العلم فيهم قوة إيمان بلا إله إلا الله، وهي سبب لأن يذكروا مع الملائكة.

نقول: الذي وفّق للعلم فقد وفِّق لأهم أسباب زيادة الإيمان، نأتي بشواهد على ذلك:

الله عندما شهد لنفسه–سبحانه وتعالى–باستحقاقه أن يكون إله وشهدت الملائكة على ذلك ذكر في هذه الآية أن أولوا العلم شهدوا أيضًا بذلك، هل شهدوا من رؤية أم شهدوا من علم؟ ما نوع العلم؟ وهل هو علم طارئ سطحي؟ لا، بل علم يقيني. ولهذا تعال لهؤلاء في قبورهم وانظر يُسأل العبد في قبره: من ربك؟ يجيب أحدهم: ربي الله، الثاني يقول: ها ها، كنت أسمعهم يقولون !! في رواية لابن ماجه وهي صحيحة: أن الملائكة تسأل هذا الرجل الذي كان ثابتًا في جوابه وقال: ربي الله، هل رأيت ربك؟ فيجيب: لا ينبغي أن يرى في الدنيا!! فأيّ علمٍ هذا؟!! هذه الشهادة التي وجدت في قلبه وثبتت ليست مبنية على رؤية إنما على علم يقيني، فإذا وجد العلم أصبح أهل هؤلاء العلم ممن حقًا شهد الله لهم أنهم شهدوا شهادة حق وأنهم شهدوا بالحق.

لو سألتك: كيف شهد الله لنفسه أنه لا إله إلا هو؟

هذا من معاني اسمه المؤمن كما ورد في سورة الحشر، ما معنى أنه مؤمن؟ أنه مصدق لنفسه–سبحانه–، وبعد ذلك مصدِّق لخلقه وأنبيائه ورسوله. مصدق لنفسه، ما معناها؟ أن الله–عزَّ وجلَّ–أشهد الخلق على أنه لا يستحق المحبة ولا التعظيم إلا إياه. عاشوا مواقف وأحداث وأحوال ومرَّت عليهم من التدابير التي تنزع من قلوبهم غير الله، لكن هذا الكلام لمن؟

- كم من الناس؛ بل كل الناس الله–عزَّ وجلَّ–أراهم أن عظيمًا لا يبقى؛ أي عظيم تعظِّمه تدور عليه الأحوال يموت ويفقد عظمته تتغير أحواله.
- كل العظماء يذهبون من أهل الدنيا.
- وأصحاب الأموال كلهم إما يذهبون أو تذهب أموالهم عنهم، ويتفرق هذا المال على الناس.
- أصحاب الأراضي موروثون.

- أصحاب الحضارات تُهد حضارتهم ويذهبون.

إشهادات دائمة؛ طبعًا إشهادات عامة، وهناك إشهادات خاصة بحياتك، هناك شخص كنت تراه مهيبًا مخوفًا إلى آخره ومن ثم تقف عليه وقد فقد عقله أو خرِف أو حصل له كذا وكذا، سبحان الله! كان يُخاف من أن يُقبِل، أصبح لا يستطيع أن يتحرك!! أو بالعكس بدلًا من أن نتكلم على المعظَّمين، نتكلم عن المحبوبين كم من الخلق صُرفت لهم محاب وصُرفت لهم أشياء من التعلُّق وظن الإنسان فيهم كمال الصفات، وفترة طويلة وهو يظن أن هؤلاء كُمّل من الخلق، وبعد ذلك مرة واحدة تنفرط؛ كأن عقدًا انفرط من سوء الخلق والصفات الناقصة ومن الضعف، ماذا تفهم من كل هذه الإشهادات يا بصير؟ عندما عظماء يصبحون لا شيء وعندما أناس نحبهم غاية المحبة تذهب محابهم بعد ذلك، على أي شيء تشهد في النهاية؟ على أي شيء أشهدك الله يا بصير؟ أشهدك على أنه لا أحد يستحق التعلق والتعظيم إلا إياه–سبحانه وتعالى–، مزيل للخلق عن أماكنهم سواء في قلوب الخلق أو في عظائمهم، يموتون وهو حي لا يموت، يفقدون القدرة على القيام على أنفسهم وهو–سبحانه وتعالى–قائم على كل شيء، قائم على كل نفس بما كسبت.

هل هذه الإشهادات–يا بصير–نفعتك وطردت كل أحد من قلبك، وخلَّت قلبك لله أم لا زلت تتعلق بغيره وتُعظِّم غيره؟ من أجل ذلك أهل العلم تعلموا عن الله كمال الصفات وتعلموا عن أنفسهم وعن الخلق نقصهم، ثم كلما أشهدهم الله شهدوا وكلما مرت عليهم أحداث تبصروا، وأنتِ ابحثي في كتاب الله كم مرة يقال لك: الناس أعمى وبصير؟ ولماذا يكرر أعمى وبصير؟! من أجل أن يقول لكِ: تبصَّري الله يشهدكِ أنه لا يستحق أن تتعلَّقي إلا به ولا تعظِّمي إلا إياه، أي لا تؤلهي في قلبكِ إلا إياه.

معنى هذا أن العلم الذي تتعلمه سترى شواهده في كل شيء، وهكذا يتحول العلم من مجرد منظور إلى يقين، ألسنا كلنا نحفظ قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[1] كلنا نعرف أنه تبارك وتعالى وتعاظم، وكلنا نعرف أنه بيده ملك كل شيء، وكلنا نعرف أنه على كل شيء قدير، هذه مسلَّمات لكنها (مسلَّمات معلوماتية). لكن الممارسة كلَّما أتاك أمر وجدت نفسك يمكن أن تفزع لغيره، يمكن أن تطلب غيره أو تصاب بالإحباط فلا تطلب ولا تسأل ولا تبحث ولا تفعل أي شيء لا تطلب الله–عزَّ وجلَّ–! هل أنت لا

(1) [سورة الملك: 1]

تعلم أن وصفه أنه له ملك كل شيء؟ أنت تبحث عن ماذا؟! عن قلب أبناء، أو عن قلب زوج، أو عن عقل، أو عن دراسة، أو عن ماذا تبحث؟ كل الذي تريد أن تبحث عنه ملك لله، والله قادر على أن يهبك أو يهبه أو يفعل ما يريد–سبحانه وتعالى–فما بالك يُشهدك الله أنه على كل شي قدير ويُخبرك أن له كل شيء ثم تأتي مواقف ويُشهدك كيف تأتي لك حبة من الخردل من صخر، ويأتي لك من المضائق بحاجاتك، ثم يقال لك: هذا مثال لقدرته! ثم بعدما ترى المثال على قدرته تنسى المثال وتعيش كأنك لا تعرف ربك!! هذا الإشكال واضح وسببه ضعف الإيمان، فأنا أحفظ نصوص كثيرة فيها وصوفات الكمال لله–عزَّ وجلَّ–والحياة كلها أحداث تجري بعضها خلف بعض، كل الحياة عبارة عن أحداث تنطق لك: إن الله كامل الصفات، لكن من يسمع هذا النطق ومن يرى هذا التفسير؟! البصير الذي أعطى نفسه فرصة أن يتدبر.

لذلك مهم جدًا أن تعرفي الأسباب الثلاثة:

- العلم النافع.
- يأتي بعده التأمل في آيات الله الكونية.
- التأمُّل في الآيات التي تجري عليّ شخصيًا.

فهذا التأمل هو الذي يحول العلم من مجرد معلومات إلى يقين. كثير من الناس يحفظون القرآن كاملًا، ثم تأتي من المواقف والأحداث ما تجعلك تقولين: هذا لا يعرف آية في كتاب الله! كم مرة بخلنا في الإحسان ونحن نحفظ {إن الله يحب المحسنين}؟!كم مرة نسينا وغفلنا أنه أتت لك فرصة أن تكون في هذه اللحظة ممن يحبهم الله في هذه اللحظة تحسن فيحسن الله إليك؟ كم مرة استفزونا الناس؟ وبعد ذلك نعيش الاستفزاز ويمارس علينا ونحن نستجيب له! وكان المفترض أن ينقطع كل ذلك بأن أن نذكر أن الله يحب المحسنين؛ فأحسن بكلمة واحدة فينقطع الأمر كله وتنجح في الاختبار وينتهي الموضوع.

قد تقول: لكن الغفلة واردة؟!

نعم الغفلة واردة ومتكررة وتحصل لا بأس، لكن من غير المعقول أن هذه الغفلة الواردة تكون من وقت أن أفهم إلى أن أموت وأنا لا أرجع أبدًا ولا أفهم ليس منطقيًا!! لكن أفهم وبعد ذلك أنسى هذا أمر أخر، ثم لا بد أن تلاحظوا أمرًا مهمًا وقد ذكرناه سابقًا مرارًا أن كل منَّا ابتلي بنقطة ضعف، هذه نقطة الضعف التي دائمًا

يرتد فيها ويتقدم. سبق أن مرّ علينا الحديث: ((إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم))[1] وعندما مرّ معنا اتفقنا ما المقصود بالأخلاق؟ أي الطباع الجبليَّة؛ الله–عزَّ وجلَّ–ابتلى شخص بالغضب هذا طبعه الجبلي، وأصبحت هذه نقطة اختباره، هذا الطبع الجبلي الذي عنده ماذا يحصل له؟ يتعلم يتعلم بعد ذلك يفهم ويتقدم قليلًا بعد ذلك يرتد وبعد ذلك يجاهد ويتقدم ويرتد، هذه نقطة ضعفك، لا تناقش في نقطة ضعفك كلمني عن باقي أحوالك، الأشياء العادية التي لم تبتلى فيها بطبع.

شخص ابتلي بأنه مبذِّر وثاني ابتلي بأنه غضوب وثالث ابتلي بأنه بخيل، هذه صفات جبلية ابتلي بها الإنسان اختبارًا له، ما مقدار مجاهدته فيها؟ هذه نقاط الضعف يحصل فيها أن يتقدم الإنسان ويعود، لكن أنا لا أكلمك عن نقطة الضعف هذه، هذه النقاط يمكن أن يبتلى الإنسان بأنه شحيح وبعد ذلك هذا اليوم الذي يخرج فيه عشرة ريالات يُعتبر قد أنجز إنجازًا، يرى نفسه أنجز إنجازًا جزاه الله خيرًا، وبعد أيام يقول: لا، المفترض أن يعمل هؤلاء غير صحيح أن نعطيهم كذا وكذا! الآن رجع إلى الوراء بعدما أعطى عشرة ريالات رجع إلى الوراء، نقول: هذا يتردد ويذهب وكل مرة أكلمه وأزيده حتى يتحسن في هذه النقطة، يجاهد فقط هذه النقطة، لكن المفترض أنه كلَّما تعلَّم أن يتقدَّم في باقي الصفات، لا يبقى في مكانه في كل شيء، وإلى الوراء في كل شيء، في حب الدنيا إلى الوراء يزيد ويزيد.

المقصد أن هذا الأمر مهم، أن تفهم عن نفسك ما نقطة ضعفك؟ أحيانًا تكون نقطة الضعف عند إنسان حبه للأنس فلا يريد أن يخلو، طوال الوقت يريد أن يذهب عند هؤلاء وهؤلاء، هذه نقطة ضعف موجودة جدًا في النساء دائمًا يحبون الأنس، فكِّرْ قليلًا، نقول: هذا لمن هذا طبعه سيأتي زمن لن تأنس فيه بأحد فكِّر في تلك الوحشة الحقيقية وابحث عن أنيس!

إن الإنسان يُعذر في تردده بين تقدم وتأخر عندما يكون الله–عزَّ وجلَّ– ابتلاه بطبع، أي لا ينبغي أن أقارن بين شخص الله ابتلاه بأن يكون شحيحًا بآخر ربنا ابتلاه بأن يكون كريمًا. والابتلاء بمعنى الاختبار، أقول له: انظر كيف أخوك ما شاء الله لا يأتي له راتب إلا ويدفع منه. لا يصح هذا الكلام، لماذا؟ لأن هذا لم يبتلى مثل هذا، بل نقول له: أنت الشهر الذي سبق كنت متقدم ماذا حدث لك؟

(1) صحيح الأدب المفرد للألباني، باب سخاوة النفس، 209

المقصد: أن العلم النافع هو علم يأخذه الإنسان ويحوِّله إلى يقين، ليس مجرد معلومة. كم من المرَّات نتكلم عن كمال صفاته؟! كم مرة نقول: ربِّ الناس، ملك الناس، إله الناس كم مرة نقول؟! أين إحساسنا بربوبيته وملكه –سبحانه وتعالى–وكمال صفاته–سبحانه وتعالى–؟ كل هذا فيه ضعف، مع وجود معلومات لكن لا توجد عين بصيرة ترى هذه المعلومات وتحولها إلى اليقين.

نكتفي بهذا القدر عند هذه الآية والباقي سيأتي لكن أريد أن تتصوروا أثر العلم على الإنسان. أمليكم أرقام الآيات التي مضت لأنها غدًا سوف تكون موضوع نقاشنا: (مررنا على آل عمران: 18، وسنمر على النساء: 162 وسنمر على الإسراء: 107 – 109) وفي المسند وغيره من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر))

لاحظ نحن نتكلم عن العلاقة بين الإيمان والعلم، الإيمان نهايته إلى الجنة–نسأل الله من فضله–والعلم نهاية السالك فيه الجنة، فاستووا في النهاية.

(وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) لماذا هذا الوصف بالذات؟ الملائكة الذين وصفهم الله أن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع–يزيد في الخلق ما يشاء–وفي رواية عن جبريل: أن له ستمائة جناح !! وهم خلق الله العظيم لماذا تأتي لطالب العلم الضعيف في بنيته وقدرته، يمشي على الأرض فتضع له أجنحتها؟! طالب العلم لا بد أن يحمل ذلًا عظيمًا لله، هذا هو الدور الذي من أجله خُلق، هو خلق عبدًا، هناك أناس يخرجون عن هذه العبودية وهذه الوظيفة، وهناك أناس يلزمون هذه الوظيفة لكنها ليست بقوة وليست بأدب، وهناك أناس عندهم قوة قيام بهذه الوظيفة–العبودية–عندهم ذل وقلب منكسر، فهذا يرحل وقلبه منكسر لله فأتت الملائكة العظام لهذا الذليل المنكسر لربه فذلت له ووضعت أجنحتها له رضًا بما يصنع تواضعًا منها لهذا المنكسر. ومما يشهد لهذا، الحديث المعروف: ((من تواضع لله رفعه))[1] فتصوري عبد يأتي منكسر ذليل يبذل جهده وأنفاسه واهتمامه في أن يعرف ربه، في أن يعرف ماذا يحب ربه؟ ماذا يحب الله؟ هذا من أعظم اهتمامات

(1) أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (7711)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (8144) مطولاً، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (46/8) واللفظ له

هذا العبد، من هو الله؟ يسعى لذلك وهو ذليل يريد بهذا العلم أن يزداد عند ربه فكان هذا الجزاء من جنس العمل، سعى ذليلًا، فذلّ له العظماء. (وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء) ولك أن تتصور كيف أن العلم سبب لزيادة الإيمان؛ إذا كانت الملائكة تضع أجنحتها لهذا، والحيتان في البحر تستغفر له!

من في السماوات: الملائكة.

من في الأرض: عدي من في الأرض إلى أن تبلغي لأعظم مخلوق موجود في الأرض وهو الحوت، واعلمي أن هذا الحوت الذي يكلمونكِ عن عظمته وعن ارتفاعه وإلى أخره هذا له علاقة بكِ وأنتِ طالبة علم تطلبين العلم وتعلمينه، ماذا يفعل لك؟ يستغفر لك، فمن المؤكد أن إيمانًا يزيد، أي أن الملائكة وهذه الدواب التي تدب على الأرض أو التي تسبح في البحر كلها تسأل الله أن يغفر لك ذنبك، فيمشي طالب العلم على الأرض طاهرًا، فإذا كان طاهرًا خاليًا من الذنوب، فإذًا هذا موعود بزيادة الإيمان، أصبح عمله سببًا لزيادة إيمانه.

لا بد أن تتصور العلاقة العظيمة، في الحديث الآخر: (حتى النملة في جحرها)[1] ولذلك لا تمر عليك النملة يا طالب العلم كما يمر عليك أي شيء، أنت لك علاقة بالنملة كما لك علاقة بالحوت ما علاقتك؟ هذه من بين ذكرها وتسبيحها لربها تخصّك باستغفار، فانظر إلى العلاقة العظيمة. كيف تتصور قلب عبد وحال عبد يستغفر له هؤلاء؟ أنت تعرف كم عدد الملائكة؟! عدد عظيم، إذا كان البيت المعمور يدخل له كل يوم في رواية مائة ألف وفي رواية سبعون ألف لا يعودون إليه مرة أخرى! كم يكون عددهم؟! وكل هؤلاء يستغفرون لك. وعندما يستغفر الأطهار لبني آدم ماذا تظن أنه حادث؟ فأكيد أن يكون قلبك مهيأ لزيادة الإيمان، لا بد أن يكون هذا الطريق سببًا لزيادة الإيمان. ثم يقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: (وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب)

كثير من يقول: أنا الآن أجد في قلبي إيمان وحب للدين فلأدخل مباشرة على العمل لأن الناس يحسبون إنجازاتهم بكم ركعة صليت؟ وكم جزء قرأت؟ هكذا نفكر فماذا يقول الرسول–صلى الله عليه وسلم–حتى نتجه كما ينبغي؟ ماذا يقول؟ (وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب) تصور عابد يعبد

(1) أخرجه الترمذي (2685)، والطبراني (278/8) (7911، 7912)، وابن شاهين في ((الترغيب في فضائل الأعمال)) (216) باختلاف يسير.

وآخر يطلب العلم، الذي يطلب العلم فضله على العابد كفضل القمر المنير الذي يشترك مع الكواكب في علوه وفي كونه كوكبًا، لكن يزيد عليهم بأنه منير، ينتفع هو وينفع غيره، وهذا وجه المقارنة والفارق بين هذا وذاك.

((وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارًا، ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر))
يقال لك: هذه تركة فلان هذه ورثة فلان تعال لك نصيب فيها، هكذا العلم والأنبياء، أنت الآن يقال لك: ترك لك النبي–صلى الله عليه وسلم–هذا الإرث، هذه التركة، تعال خذي نصيبك منها، من هذا أحد يأتي ويقول له: ترى فلان الفلاني العظيم ترك لك شيء من الميراث أقبل وخذه؟ من هذا الذي يترك؟ ثم عندما يكون هذا العظيم هو النبي الكريم على ربه، من هذا الذي يبخل على نفسه أن يقبل على الميراث؟ لكن المحروم من حرمه الله.

لا بد أن هناك علة أشغلتنا عن هذا، وهذه العلة ستظهر لنا في سورة الحديد وسورة يونس وستظهر في مواطن عدة أن هناك علة أشغلتنا، والله–عزَّ وجلَّ–يقول: {وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ}[1] أين أنتم يا قوم عن دار السلام؟ ما الذي أشغلنا عن دار السلام؟ فقط اقرأ الآيات التي قبل ستعرف ما الذي أشغلنا عن دار السلام، وهذه هي وقفات التأمل التي نرجوها، من أجل أن يتبين لنا ما الذي صرف قلوبنا عن هذا الميراث عن هذا الأمر عن هذه العلاقة. تصوري تدبين على الأرض ودواب الأرض تستغفر لكِ، تدبين على الأرض وأهل السماء يستغفرون لكِ، هذا كله أمر مدهش، لكن أين يذهب هذا الاهتمام؟ أين تذهب هذه الرعاية والعناية التي المفترض أن تكون بعدما نعرف هذه المعلومات.

وفي الترمذي وغيره من حديث أبي أمامة–رضي الله عنه–قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله عزَّ وجلَّ وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير)) تصور النبي–صلى الله عليه وسلم–ومكانته عند الله ومكانته في الطاعة والعبادة، وتصور أدنى الصحابة وأقلهم طاعة وعبادة، تصور ارتفاع النبي–صلى الله عليه وسلم–عليهم شيء عظيم، يقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: هذا الارتفاع العظيم مثله مثل شخص طلب العلم فأصبح

(1) [سورة يونس: 25]

عالمًا وشخص يعبد بدون علم، ولهذا وأنت مقبل على المواسم العظيمة لا تظن أن كل الغاية أن تعبد، هذه النتيجة، لكن الوسيلة العلم، العلم يزيد الإيمان والإيمان يأتي بالطاعة والعمل.

(حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير) الفرق بين هذه الرواية والرواية السابقة (الصلاة – الاستغفار) والصلاة لفظ قريب جدًا من الإيمان. ما معنى (ليصلون) ؟ يصلون: يقولون يا ربنا صلي على فلان، يعني اثنِ عليه في الملأ الأعلى، ارض عنه، اقبله يا ربنا. فمن النملة إلى الحوت وهم يقولون: يا ربنا اقبله، يا ربنا صلي عليه، يا ربنا اثني عليه في الملأ الأعلى، تصور كيف يشعِّب العلم علاقاتك، وأنا أتصور نفسي وأنا أدرس في غرفة بمفردي، أنا والكتاب وربنا معنا صحيح، لكن ها أنت والكتاب أنت والقرآن أنت والعلم أنت وهذا الاجتهاد يشعبون علاقتك بكل من في الأرض بل حتى إلى أهل السماء، فماذا تريد بركة أكثر من هذه البركة؟ ومن المؤكد أن قومًا يستغفرون وقومًا يثنون، هذا كله ماذا سيكون أثره في القلب؟ لا بد أن يكون سببًا لطهارة القلب ونقائه وزيادة إيمانه. فالعلم كما هو معلوم ليس مقصودًا لذاته وإنما هو مقصود لغيره وهو كما هو معلوم العمل، فكل علم شرعي طلبه إنما يكون حيث يكون وسيلة إلى التعبد إلى الله تعالى. متى يكون العلم مطلوب؟ كل علم وسيلة يوصلك للتعبد إلى الله، علم يأتي بالإيمان والإيمان يأتي بالعمل يأتي بالطاعة.

ندخل الآن في التفاصيل لنحدد أهداف لنا قريبة وأهداف طويلة المدى.

عندنا ثلاثة أهداف:

- قصيرة.
- ومتوسطة.
- وطويلة.

الطويلة هذه تحمل العمر كله، القصيرة تحمل الشهر الذي نحن فيه ليس الذي انتهى بل الذي سيبدأ–إن شاء الله . والمتوسطة تحمل الثلاثة شهور كلها.

سأتفق معكم على برنامج خلال هذه الشهور بحيث يكون متواصل وليس كلام نسمعه في ثلاثة أيام وبعد ذلك يذهب كما يذهب، لا، نريد أن يكون متواصلًا. نكتب لأنفسنا بعدما نفهم هذا الإجمال الذي هو أبواب العلم التي تسبب زيادة الإيمان، نكتب لأنفسنا خطة نسير عليها قصيرة المدى وخطة متوسطة المدى ثم طويلة المدى اسأل الله أن يفتح علينا فيها.

نبدأ الآن: أول باب من أبواب العلم وأهمه وهو المصدر وهو ما نتقرب إلى الله به دائمًا، وهو قراءة القرآن الكريم، والقراءة لا بد أن يكون قرينها التدبّر. ونحن في خطة قصيرة المدى لمدة شهر، المفترض أن تضعي من أهدافك أن تختمي القرآن في هذا الشهر مع ملاحظة ما سنتفق عليه، كأني أقول: في شهر ستة سأتفق أن ألاحظ كذا وأنا اقرأ، وفي شهر سبعة ألاحظ كذا وأنا اقرأ. هذا كله مبني على اعتقاد ما قال–سبحانه وتعالى– في سورة الإسراء {إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ يِهْـدِي لِلَّـتِي هِـيَ أَقْـوَمُ}[1]، إذاً أنت تفهمين أن ما أخبرك الله به في كتابه ماذا يفعل بك؟ يأخذ بناصيتك إلى الهداية يأخذ بك إلى الهداية. أنا أقرأ القرآن من سنين ولا ألاحظ الهداية، ما ألاحظها مع اعتقادي أنه يهدي لكن أنا لا ألاحظها في نفسي ولا أجد جواباً شافياً لكثير من أسئلتي؟! ما المشكلة؟ المشكلة فينا أكيد. فهم الخطاب ليس على ما يليق، أي أن الله يخاطبني بخطابات أنا لا أنظر لا لأولها ولا لأخرها ولا ألاحظ أن هنا خطاب يقول {يَـأَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُـواْ} وهنا خطاب {اتَّقُـواْ اللّهَ} وهنا خطاب {كُونُـواْ مَـعَ الصَّـادِقِينَ}[2] {وَقُولُـوا قَـوْلاً سَـدِيداً}[3] هذه الخطابات كلها لمن؟ فاعتقادك أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم لا بد أن يبنى عليه أن الخطاب أصلًا لي من أول القرآن لآخره.

وسأتكلم عن مشاعر تلحقنا وتسيء لنا ونحن لا نشعر، تسيء لإيماننا تسيء لعلاقتنا بالقرآن، سنتكلم عن أمرين في هذه المسألة: نحن تمر علينا آيات فيها ذكر للفواحش، للزنا، للربا، لشرب الخمر، للقتل، للسرقة، كل هذا يمر علينا ونحن عندنا حاجز نفسي يقول: أنا لا علاقة لي بهذا! هذا الذي في قلوبنا، وعلى هذا أي خطاب تخويف من السرقة ومن شرب الخمر كله ليس لي علاقة به، وعلى ذلك آتي على جزء من كتاب الله أتجاهل مشاعري تجاهه! أنت تقولين: أنا الحمد لله تربَّيت تربية جيدة وفي بيئة محافظة ونحن بعيدين عن هذا كله. نقول: ما دام الخطاب أتى لك فالمفترض أن تخاطب نفسك به، عندما تركنا زمنًا طويلًا مثلًا: أن نعرف الخمر والآيات التي أتت في التشديد عليها، بعد ذلك يأتي في مدرستي، يأتي في معهدي أو يأتي في موقف عام أحد يقول: ولدي والعياذ بالله يستخدم كذا وكذا. ماذا أقول له؟ هل أتذكر آية أو أتذكر اسم أو صفة من أسماء الله توعد الله فيها على شارب الخمر وما في حكمه؟ لا أستطيع، لا أتذكر أبدًا هذا الأمر، ثم من قال إنك محفوظ من الشر لو ما استعذت بالله منه؟ المفترض عندما يمر كل هذا أن نسأل الله أن يحفظنا ويحفظ

(1) [سورة الإسراء: 9]
(2) [سورة التوبة: 11]
(3) [سورة الأحزاب: 70]

أبناءنا ويحفظ ذريتنا وأبناء المسلمين. سيمر معنا–إن شاء الله–قول لأبي هريرة–رضي الله عنه–إنه كان يدعو في سجوده (اللهم احفظني من الزنا والربا وشرب الخمر) فكانوا يقولون: أأنت يا أبو هريرة؟! يقول (ومن يأمن قلبه !!) من يأمن قلبه وأنتم تعرفون–للأسف–أن الفتن تحيط بنا، فلا تتصوري الأمور بعيدة.

نحن قبل عشر أو ثنتي عشرة سنة كانت الأسئلة التي تأتي على سؤال على الهاتف أو نور على الدرب أنا أذكر في عام 1420هـ –جاءت فترة طويلة وراء بعضها وقبلها كثير–يسألون: يا شيخ أنا عندي قريب يعمل في بنك هل آكل عنده أم لا؟ يخاف من فحوى الربا، لا يريدون أن يأكلوا عند من يعمل في البنك، فقط عشر سنوات وهذا الدخن دخل بيوتًا كثيرة! أليس هذا الواقع؟ بلى والله، انظر الربا الذي كنا في لحظة نقول: هذا من المواضيع التي لا نحتاج فيها وعظ وكنا نقول: الناس يخافون من الربا أصلًا. ذهب الخوف وتبدّل بالأمن وصار الإنسان لا يفكر يرى لوحة مكتوب عليها هيئة شرعية في بنك يدخل بدون تفكير، ولا يعرف أنه يمكن أن تحدث تلاعبات. تصور حرب يحارب الله ورسوله، واستهان بذلك! ما الذي حدث؟! كنا نمر على هذه الآيات فلا نجد في نفوسنا خوف منها. لا أريد أن أتكلم عن الزنا ولا أريد أن أتكلم عن شرب الخمر، لكن أنت انظر إلى المسألة بصورة عامة وكن على أشد خوف، والله إننا نرى أقدامًا تذل في الكبائر وهم كانوا قبل قليل من المؤمِنين لأنفسهم أنهم لن يذلوا.

فعلى هذا عندما تقرأ كتاب الله لا تأتي عند نصوص وتحجز نفسك عنها بأن ليس لك علاقة، طبعًا الأسوأ من ذلك أن آتي عند النفاق الذي يقول عنه ابن أبي مليكة–التابعي الكبير–: أدركت من صحابة النبي–صلى الله عليه وسلم–ثلاثين بين امرأة ورجل كلهم يخشى على نفسه النفاق. وهم الصحابة. هذه نفس المشاعر التي يجب أن نحملها نحن، بل أشد تجاه النفاق نحن نرى أن النفاق عند المنافقين فقط، راجع نفسك وستجد أنك إذا سُئلت: هل تعرف السور التي ورد فيها النفاق؟ إذا أجبت، فلن تذكر إلَّا سورة التوبة، ولا تدرك أن سورة النساء تتكلم عن صفات عظيمة للمنافقين، بالإضافة إلى سورة البقرة وإلى أن تصل إلى سورة الحديد والقرآن يكلمك عن المنافقين وبعد ذلك يقال لك: هل تعرف أن نصف السور المدنية أتت في النفاق؟ هذا يعني أنك تريد أن تترك نصف المدني وترى نفسك لست من أهل خطابه؟!! وهذه مشكلة حقيقية أن نحجز أنفسنا عن النصوص بمشاعر أن هذا الخطاب ليس لنا. ولو فهمت النفاق جيدًا ستعرف أن النفاق أهله في الدرك الأسفل من النار كما ورد في سورة النساء، وستعرف أن المنافقين يدخلون في كل موطن يقال فيه: {أُولَئِكَ هُمُ

الْكَافِرُونَ} فإذا لم تكن لك علاقة بالنفاق ولا الكبائر ولا الكفر، والأعمال لا أستطيع فهمها من القرآن ووصوفات الجنة صعب عليَّ أن أعرف دقائقها من القرآن ووصوفات النار أيضًا نفس الأمر، إذاً ماذا بقي؟!

اعلم أنك مخاطب بكل القرآن، هل تستطيع أن تذكر آية في القرآن فهمت منها كيف تصلي أو كيف تتوضأ؟ أين قرأتها؟ هل تذكرها؟ هل تعرفها؟ نجد أنفسنا ندور! إذا تركنا النفاق والكبائر إلى أن نصل إلى الأعمال ونحن لسنا متقنين لها، إذًا ما هي العلاقة بيننا وبين القرآن؟ أين نحن من قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}؟ أي أقوم؟ أي هداية؟ نحن استعملنا القرآن كأداة لسانية فحجزت أنفسنا عن الانتفاع به، لا بد أن تشعر أن كل كلمة في القرآن أنت مخاطب بها. مثلًا قوله تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[1]، ماذا تشعر نفسك ميت أم حي؟ عندك نور أم ليس لديك نور؟ أي شخص كان ميتًا فأحياه الله وجعل له نورًا يمشي في الناس، مَن أنا في هذه الآية؟؟ لا بد أن أقف وأعرض نفسي عليها؛ ومن أجل ذلك تأتينا قاعدة في كلام السلف أنهم يعرضون أنفسهم على القرآن: مَن أنا في هذا؟

هناك سؤال في غاية الأهمية والحقيقة أن هذا السؤال كثيرًا ما يجده الصُلاَّح من الخلق ولا يجدون له جوابًا: وهو أن هناك مَن يلازم على عمل الطاعات ولا يجد في قلبه أثر لزيادة الإيمان بل أحيانًا يشعر ببعض الهموم بل يصرّ على كبائر الذنوب، فهل هناك أسباب أخرى لزيادة الإيمان غير عمل الطاعات؟؟ جواب هذا السؤال هو ما كنا نؤكد عليه، القصة ليست بأن تأتي بواحد من الأسباب وتعتقد أن هذا السبب سيأتي بالنتيجة، المسألة مركبة تركيبًا لا ينفصل، لا بد أن تتعلم ولا بد أن تحول هذا العلم إلى يقين.

ألم نتفق أنها ثلاثة أسباب إجمالية؟ السبب الذي في الوسط هو المهمل، عندي طلبة علم لكن يتلقون معلومات ولا يعبدون الله بعبادة عظيمة اسمها عبادة التفكر. وعبادة التفكر عبادة مهجورة من جهة النقاش، مهجورة من جهة العمل وهي أحد صفات أولو الألباب، ألم نسمع في سورة آل عمران عن هؤلاء المباركين الكُمَّل أنهم: {يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ}[2] فتسبيحهم وتنزيههم لربهم مبني على علم مع تأمل وتدبر وتفكر فكانت النتيجة الحقيقية اليقين.

(1) [سورة الأنعام: 122]
(2) [سورة آل عمران: 191]

ما علاقة أسباب زيادة الإيمان بلقائنا؟ ما موضوع لقائنا؟ استعد لرمضان بالإيمان، أي أن الاستعداد لمواسم الطاعة يكون بالإيمان. سنستعد لرمضان بالإيمان لماذا؟ لأن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: ((مَنْ صام رَمَضَانَ))، ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا))[1] وبعد ذلك قلنا: احتسابًا مبني على إيمانًا. لو زدت إيمانك النتيجة أنك ستغتنم الأوقات الفاضلة، ستوفق ستعان على الأوقات الفاضلة.

كيف أزيد إيماني؟ قلنا إن هناك مَن ناقش هذه المسألة مناقشة إجمالية:

- أولًا: تعلّم العلم النافع.
- ثانيًا: تأمَّل في آيات الله الكونية.
- ثالثًا: اجتهد في الأعمال الصالحة وداوم عليها.

تنبيه: هذه الأسباب لا يصلح الأخذ ببعضها وترك بعض، ولا يصلح إلا تركيبها وترتيبها فوق بعضها. أي لا بد أن تتعلم وفي خط موازٍ لهذا العلم تتأمل والناتج أنك ستعمل أعمالًا صالحة. اترك العمل لأنه يعتبر ناتج من الاثنين السابقين، وهو بنفسه سبب لزيادة الإيمان، العمل يعتبر ناتج من 1و 2 وهو بنفسه سبب لزيادة الإيمان. لنركب تعلم العلم مع التفكر، ونتجه اتجاه آخر ونناقش قضية غاية في الأهمية (عبادتي التدبر والتفكر) على أن نقاشها سببًا لزيادة الإيمان. نتدبر: أي نقف أمام كلام الله، وأيضًا كلام المصطفى–صلى الله عليه وسلم–بقي عليَّ عبادة التفكر، التدبر والتفكر كلاهما قراءة، واحد يقرأ في كتاب الله المنظور الذي تراه العين في الكون، وواحد يتدبر ويقرأ في كتاب الله المقروء وهو القرآن الذي نسميه (عبادة التدبر).

ماذا نعتقد في عبادة التفكر؟ هل تعتقدين أن هذه عبادة تتقربين بها إلى الله وتؤجرين كعبادة الصلاة والصيام؟ نعم، عبادة، بل عبادة للأصفياء الأتقياء، عبادة للخواص، عبادة يعبدها الخواص. لماذا لها هذه المكانة؟ لماذا تقولون: الخواص يعبدون الله بالتفكر؟ لأن التفكر شاهد على عدم الغفلة، الذي يتفكر تفكره يشهد عليه أنه غير غافل، والذي يكون غير غافل يكون قلبه معلّق شديد الصلة شديد التنبه، يستخدم كل أنواع ذكائه.

(1) سبق تخريجهما ص6.

قلنا–سابقًا–: إن الذكاء متعدد، وكلنا ليسوا سواء في درجة الذكاء، لا كما كان يقال: إن المتميز في الحساب هو الذكي! بل الناس عندهم أنواع من الذكاء متعددة، من بينها: ذكاء الأماكن، أي يكون الشخص في مكان ويعرف الشرق من الغرب، والشمال من الجنوب. هذا عند كثير من الناس صعب، أنتِ الآن عندما تفكرين، تقولين: سبحان من جعل هناك جهات، سبحان من جعل إشراق الشمس إشارة إلى الشرق وغروبها إشارة إلى الغرب شيء عجيب، انظر إلى هذا الكون مرتب ترتيبًا عجيبًا، فهذا التفكر يشير إلى عبد طوال الوقت يقظ إلى أفعال الله ينتبه لها على قدر ما رزق من ذكاء.

ما نوع الذكاء الموجود عندك؟

هناك أناس عندهم نوع ذكاء يسمَّى (ذكاء الأصوات) أذنه تكون شديدة الحساسية للأصوات يستطيع أن يميز أن هذا صوت فلان وهذا صوت فلان، يميز اللحن لشخص رفع المنصوب ونصب المرفوع، فهذا الإنسان الآن كل ما كلمتِه عن اللغة وعن الصوت يتأمل ويتفكر، سبحان من علَّم الخلق اللغات! سبحان من يسمع الأصوات! (يتفكر) أي أنه عنده هذا الأمر ويرى نفسه نبيهًا له فيربط هذه النباهة التي عنده بما جعله الله في الكون. من علَّم الناس اللغة؟ الجواب في سورة الروم.

فتأتي المسألة المهمة، أن التأمل يجب أن يكون مبني على التعلم، التفكر يجب أن يكون مبني على التدبر. مثلًا: اليوم نحن لما أتينا إلى الدرس أكيد شعرتم بالريح اللطيفة، والله–عزَّ وجلَّ–في كتابه يقول: {يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا}[1] الآن أنت عندما أحسست بالريح، هذا إحساس وعندما يكون عندك علم أن الله نسب لنفسه هذا الفعل الذي هو إرسالها، فالعبد اليقظ عندما يشعر بالريح ينسب الفعل لله، اليوم الريح ليست فوق لا تجد الشجر يتحرك، لكن تجد الشيء الذي في الأرض يتحرك، فتصبح شديد الملاحظة، حتى الريح أنواع لا يحتاج أن أفتش في الجغرافيا ولا في الجيولوجيا، أنت الآن بعينك بنظرك على مستواك ترى في الأرض التراب يتحرك والأشياء وترفع نظرك للأشجار تجدها لا تتحرك! سبحان الله!

فأنت لن تفهم الأفعال إلا عندما تتعلَّم العلم، حينئذ ستسأل نفسك: من علم الناس أن يطرقوا مسمار؟ الذي علَّمهم كيف يبنون السفينة. متى تعلموا بناء السفينة؟ فتش في قصة نوح–عليه السلام–، هل أخبرنا عن هذا المسمار؟ نعم، ستجده مخبرًا عنه، تستعجب.

(1) [سورة الروم: 48]

فلا تتصوري أن الإيمان سيزيد بمجرد وقوفكِ للشواهد، بل لا بد من حركة القلب، شخص يخرج من قلبه أن الله هو الذي يرسل الرياح، إذًا هذا دليل على أنه رب كل شي، هذا الآن الكلام النظري، داخل قلبه: كلَّما شعر بالرياح سينسب فعل إرسالها لله، فيكون حرَّك توحيد الربوبية في قلبه.
أنتِ من البداية تقولين: (لا إله إلا الله) أمسكي (لا) وأخرجي كل أحد من قلبك إلا الله، واجعلي قلبك فارغًا لتعظيم الله ومحبته، فكل مرة تتعلمين شيء عن الله وتشعرين به، في الواقع يزيد إخراجكِ لكل أحد من قلبك.

فالتفكر عبادة الخواص حقًا، والحقيقة لا يلام الناس على تقصيرهم في التفكر، ربما يلام طلبة العلم على عدم تكراره وإرشاد الناس له وبيان طريقته العملية، وهذا نوع من التقصير لا بد أن يكون التفكر عبادة تدرس حتى تفاصيل ممارستها من أجل ألَّا تشط عقولنا، ولا يقصد بالتفكر فقط أن تنظر للمسألة مثل الإعجاز العلمي لا، المسألة أعمق من هذا بكثير، تحتاج إلى ملاحظة ما تتعلمينه في الواقع.

وربما نحن أخذنا وقت طويل ونحن نتكلم في التفكر لكن يجب أن نتفكَّر في أفعاله علينا، وهذا دائمًا كنا نطرحه في اسم الرب، ونقول: رب يربي عباده، لاحظ أفعاله عليك ستعرف كيف يؤدبك، تحكي لي أخت موقف بسيط وصدقًا وقع، كانوا يتناقشون وهم في ظهر الجمعة فيتكلمون عن انقطاع الماء في البيوت، فقالت: انقطاع الكهرباء أهون من انقطاع الماء، فقالت قريبتها: لا تقولي ذلك–والله ربنا يؤدبنا بعد ذلك–والله تقسم أنه لم تنتهِ نصف ساعة حتى انقطعت الكهرباء عليهم، خرجوا فوجدوا المصعد يعمل في نفس العمارة التي هم بها!! ونزلوا في الأسفل وكانوا يتصورون أن الكهرباء انقطعت في الحي كله، فأذن المؤذن لصلاة العصر–معناه أن المسجد فيه كهرباء–ماذا حدث؟ بيتهم من دون كل الحي، انظر إلى تربية الله، هذا نوع من التفكر.

ربما هذا طرح كثيرًا وتأمَّلنا فيه كثيرًا، بقي النوع الثاني من التفكر وهو تفكر آياته في الكون على وجه العموم وربط الآيات التي ندرسها الموجودة في الكون بالحياة.

سؤال: أنتم تقولون إن الأعمال الصالحة سبب لزيادة الإيمان، وأنا أجتهدت وأعمل أعمالًا صالحة ومع ذلك أرتكب الكبائر وأفعل وأفعل؟!

الجواب: الثلاثة أسباب التي ذكرت مبنية بعضها فوق بعضها، لا بد أن تحصِّلها بالترتيب، أي تتعلم وبعد ذلك تتفكر سواء في فعل الله فيك أو في فعل الله في الكون، ثم تبدأ تجتهد في العبادة، اجتهادك سيجعل قليل العمل منك سببًا لزيادة إيمانك، قليل العمل منك يعامله الله باسمه الغفور الشكور، لكن تركك للترتيب يسبب أنك ترجع تصبح عابد ولست عالمًا، فخرجنا من جديد عن المقصد في ترتيب أسباب زيادة الإيمان.

سأبدأ بالكلام عن تعلم العلم النافع:

تكلمنا كيف أن العلم النافع سبب لزيادة الإيمان، ويكفيك أن الملائكة تستغفر لك، أهل السماء يستغفرون لك أهل الأرض يستغفرون لك، المخلوقات التي خلقها الله–عزَّ وجلَّ–تستغفر لك، إلى أن بدأنا كيف أتعلم العلم النافع؟ قلنا: أهم طريقة لتعلم العلم النافع هو: قراءة القرآن وتدبره، وأنت عندما تقرأ القرآن ماذا تعتقد؟ أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، هذا الاعتقاد الذي تعتقده أولًا، ثم تعتقد أنك في ظلمة والقرآن يخرجك إلى النور.

ما دمنا نشعر أننا في نور فلن نشعر بقيمة وجود القرآن في حياتنا، لا بد أن تشعر أنك في ظلمة معنوية حقًا، حتى تجد في كتاب الله ما يرشدك إلى مرادك، ولهذا أنت دائمًا لديك أسئلة استفهام كيف أعامل كذا؟ كيف أتصرف كذا؟ كيف أهتدي في كذا؟ ماذا أفعل؟ الآن أنا حالي ما اسمه؟ أنا وضعي الآن ما حاله؟ مثلًا الآن تمر في أزمة وبعد ذلك يأتي الشيطان ويقول لك: تدعي وتحسب أن ربك سيستجب لك؟ أصلًا أنت غارق في الذنوب وذنوبك إلى السماء. وإلى آخره، اذهب للمصحف واقرأ قوله تعالى: {يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}[1] وهذا المضطر اسم لشخص وقع في الاضطرار بدون وصفه لا مؤمن ولا كافر، لا تائب ولا فاسق، اسمه فقط: مضطر، إذًا أنا اسمي: مضطر، أدخل تحت هذه الآية، مهما كان حالي:

- مذنب.
- تائب.
- قريب.
- بعيد هذا الكلام يخاطب به حتى أهل الكفر.
- مؤمن.

(1) [سورة النمل: 62]

أي أنك في هذه الحالة اسمك مضطر.

يحصل لنا–غالبًا يوم الخميس–موقف وأجد نفسي عندي ضيوف كثير وطعام قليل! فأقول: (بسم الله، اللهمّ بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار) المرة القادمة عندي ضيوف ولديّ طعام كثير وأنا في قلبي مطمئنة أنه سيكفي ولا توجد أي مشكلة، الآن ما اسمي؟ أبحث عن هذا الوصف، هل هذا الوضع الذي أنا فيه طبيعي؟ والناس يقولون لكِ: طبعًا عندما يكون الأكل قليل أكيد ستخافين وتطلبين ربنا، لكن عندما يكون كثير لا توسوسي، وبعد ذلك تذهبين إلى سورة الليل وأنتِ تقرئين وتسمعين الله–عزَّ وجلَّ–يصف الذي سييسره لليسرى والذي سييسره للعسرى، قال تعالى: {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى(5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(7) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى{8} وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10)} عبد اتَّقى وآخر استغنى، مَن أنا في هؤلاء الذي اتقى أم مَن استغنى؟ إذًا أنا مرة أتقي ومرة أستغني، متى أستغني؟ كل مرة يغنيني الله فيها، أستغني عن الله بما أعطاني الله! ما اسمي في هذه الحالة التي تمر هكذا سريعًا؟ وهذه الحالة تمر على الإنسان ويمارسها، وربما يمارسها في طعامه وشرابه ولباسه حتى في زواج أبنائه، عندي بنت متوسطة الجمال وعندي بنت جميلة، هذه متوسطة الجمال دائمًا أدعو لها: يا رب زوجها رجل صالح، والثانية جميلة! كأنها تحل مشكلتها بنفسها، هذه المشاعر بالضبط هي مشاعر (استغنى)، فانظر كيف نمارس هذا، ما اسمي أنا في هذه الحالة التي أمر بها؟

فأنت كلَّما صدقت في إرادة معرفة وتشخيص حالك وتطبيب قلبك لا بد أن تجد العلاج لقلبك في كتاب الله، لا بد يقينًا، لكن أنت ادخل عليه بهذا اليقين والله، يرشدك الله. فالعلم رزق، وهذا الرزق لا يؤتى إلا لصادق. هناك طالبة علم–جزاها الله خيرًا–ضاقت عليها مسألة سنين وهي تبحث وكلما تشرح لأحد لا يفهم سؤالها، ثم يأتي أحد يهديها كتاب، ويقول لها: هذا من مطبعتنا ونحن ما عندنا غير هذا الكتاب وإلا كنَّا أعطيناك كل إصداراتنا. ثم بمجرَّد أن تفتح الكتاب بعد ثلاث سنوات تجد المسألة مبحوثة بحثًا كاملًا، رزق من عند الرزاق–سبحانه وتعالى–، لكن المهم أن ينظر الله لقلبك فإذا بك حقًا مجتهدًا تريد أن تعرف يا ربي دلني مَن أنا الآن؟ ما حالي؟ هل هذا الذي أمر به شيء طبيعي أم غير طبيعي؟ هل هذا يرضيك أم لا يرضيك يا ربنا؟ هذا الذي يجب أن يقوم قلبنا به من أجل أن نرزق من هذا الكنز العظيم الذي بين أيدينا من أجل أن نستضيء بهذا النور، ألم يقل الله–عزَّ وجلَّ–في سورة الأنعام {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن

مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا}[1] كم مرة شعرنا أنفسنا في ظلمة؟ الحقيقة أننا لا نشعر أننا في ظلمة، ولذلك لا نشعر تجاه القرآن بأنه نور، كم مرة شعرنا أننا ضلَّال نحتاج إلى الهداية؟ لا نشعر.

ربما هذا المثل ضربته سابقًا؛ كل مرة تضل الطريق وأنت ذاهب إلى مكان معيَّن ثم تقضي زمنًا طويلًا من أجل أن تعود تذكر أن هذا هو الضلال في الدنيا عن الطريق، كيف تتوتر أعصابنا ونحن ضائعين ونفتش عن المكان وعندنا موعد أم خائفين أن نتوه، كم تتوتر الأعصاب؟ تصور هذا الضلال في الدنيا، وفي النهاية لا بد أن تسأل أحد ليرشدك، وفي النهاية عدت ولم تأخذ الموعد، لكن كيف عندما يضل العبد عن طريق ربه؟ يضل عن الجنة؟ وكيف عندما يهتدي العبد إلى الجنة؟ هذه هي المشكلة التي نعيشها أن أوصاف القرآن لم تدخل إلى القلب، وصفه أنه نور، وصفه أنه هداية من الضلالة، لأنني لا أشعر أنني في ظلمة، ولا أشعر أنني في ضياع وضلالة، من أجل ذلك عندما يقال لك: القرآن نور. لا تقع هذه المشاعر في القلب، لكن لا بد أن تشعري أننا في ظلمة. والله كل المواقف التي تحدث لنا ولا نستطيع أن نعرف ما الذي يجب أن تكون قلوبنا عليه؟ ما الذي يرضي الله الآن؟ معناه أننا في شيء من الظلمة، خصوصًا لو أهملناها، خصوصًا لو نظر ربنا إلى قلوبنا ونحن غير مبالين أن نعرف ماذا يحب ربنا؟ هذه مصيبة بذاتها، أي آتي في موقف أقول لنفسي: والله لا أعرف ما هو الصواب. فقط وانتهى الموضوع وأرحل كأن شيئًا لم يكن، يجب أن أحترق، يجب أن ينظر الله إلى قلبك وهذا هو مكان الاختبار أنك حقًا تريد ما يرضيه، فهذا كله يذيب الحواجز التي بينك وبين كتاب الله، فتجدين المعلومة كأنك وجدت كنزًا. وهذا الذي يفسِّر لك حال السلف أنهم قد لا ينامون ليلتهم فرحًا بعلم تعلموه، لماذا؟ لأن الواحد منهم يعتقد أنه وجد كنزًا–وهو حقًا كنز–.

أيضًا ما نعتقده في كتاب الله إنه الشفاء لأمراض الصدور من الشبهات والشهوات، ويمكن أن يمر على الإنسان وهو يقرأ في كتاب الله شيء من تلبيس الشيطان.

وأنبهكن عزيزاتي: أول ما تقبلون على كتاب الله تريدون أن تتدبروا كلام الله، يشبّه عليكم الشيطان الأمور! ويدخلكم في مشاعر تخافون منها، وتقولون: لا، أقرأ وأنا لا أفهم، أفضل من أن أتكلم على ربنا بشيء في قلبي

(1) [سورة الأنعام: 122]

وهو ليس صحيح، نقول: اسمع الله–عزَّ وجلَّ–يقول: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}[1] ما دمت مقبلًا على القرآن بالإيمان فسيصبح شفاء ورحمة لك. كن مطمئنًا.

سأضرب مثلًا: الآن لو أتينا في وصف الجنة نجد أنها وصفت أنها ظل ممدود، يأتي أحد يقول: لكن أنا أعرف أن الظل يأتي من الشمس، لكن الجنة لا شمس فيها، فكيف يقال: (ظل ممدود)؟ يأتي الشيطان يقول هذا الكلام، فعندما تتعلم تعرف أن العرب تقول: في ظل السلطان، في ظل أوامر فلان فالعرب تعبّر عن الظل ليس فقط في الظاهرة الفلكية وهي ظاهرة الشمس وانعكاس الظل، بل العرب تقول على الشيء العظيم الذي له أثر كريم (ظل) كأن تقول: (أنا عشت في ظل تربية فلان) فهذه الجنة فيما يوصف أن فيها شجرة لها ظل يسير الراكب تحت ظلها–وليس الماشي–مائة عام ولا يقطعها، فما ظلّها؟ (خيراتها، فما ظلها؟ عظمتها، فما ظلها؟ وافر أوراقها) وهذا مما يزيد الشوق لذاك المكان، ويزيد الاجتهاد رغبةً في الوصول إليه، لكن المقصد أن تفهم أن الشيطان يأتي فيشبّه عليك بعض الأمور، وأنت تقول: صحيح كيف يكون (ظل) ولا توجد شمس؟ نقول: فقط خطوة واحدة، لو طلبتِ وأنتِ صادقة فهمها سيأتيكِ، تفتح تفهم فيُطرد عنك الشيطان، ليس الحل أن تقول: أنا سأهرب، ولو دقّقت زيادة وفهمت زيادة ستظهر عندي إشكالات!

نقول: هذا القرآن شفاء لما في الصدور. المقصد أن الشيطان لن يتركك في أول الإقبال، فأنتِ ادحري الشيطان بالاستعاذة والاستعانة ومزيد الجهد والصدق ويدفعه الله. لا بد أن يأتي في البداية يشوش عليكِ، فتقولين: كل آية أقرؤها لا أرى أنها تزيدني إيمانًا، أرى أن قلبي يتكلّم عن ربنا. استعيذي، أكثري من الاستعاذة، كل مشكل يحصل لكِ يجب أن تُرشدي إلى كيفية تعلُّمه؟ كل أمر فيه شبهة على عقلك لا تعظِّميه إنما استعذي وسيدلك الله، لا بد أن يرشدك الله.

المهم أن تعرف بأن القرآن شفاء لأمراض الصدور من الشبهات والشهوات، وإذا كان شفاء لا بد أن تعرف أن الدواء دائمًا في أوله غير مستساغ، لكن يجب أن تعرف أن بعد الدواء شفاء، لأن الذي أنزله وعد بالشفاء، ماذا يقول–سبحانه وتعالى–في سورة يونس؟ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي

(1) [سورة الإسراء: 82]

الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}[1] هي موعظة لكل الناس وشفاء وهدى ورحمة لعبد مُقبل على القرآن وهو مؤمن به. المرارة مِن تلبيس الشيطان، المرارة مِن حرصه على إضلالك مِن بغضه.

تصور أنه فيما يُذكر عن قتادة–رحمه الله–وهو يتكلم عن الحج يقول: (يعُدّ الشيطان لكل موكب حج بمثله) يعني هذه حملتنا خارج فيها ثلاثمائة حاج، يُعد الشيطان ثلاثمائة شيطان مع هذه الحملة من قوة العداوة، كيف أربعة أيام تخرج من الذنوب كما ولدتك أمك؟ كيف تفوته؟ عداوة لا بد أن تتخذه عدوًا. فدائمًا أول الأعمال الصالحة فيها تشويش، لكن هذا التشويش إنما جعله الله، وترك إبليس يفعله اختبارًا لك، تتمسك بحبال الله أم تنفرط عليك المسألة؟

الاستعاذة عبادة تؤجر عليها كالذكر، كالصلاة، كقراءة القرآن: يلجأ فيها القلب ويفزع إلى ربنا يريد أن يحميه وهو يعتقد أن الله الملك العظيم يريد أن يحميه من عدوه، لكن المشكلة أننا باردين تجاه عدونا لا نستشعر عداوته، عليك أن تستعيذ كلَّما خطر على بالك خاطر فيه نقص في الله، مررت فوجدت أن هناك ناقص في بدنه ناقص في سمعه مريض، مباشرةً يأتي لك كلام من الشيطان: لماذا يا رب؟ كأنه يقول: ما الحكمة في أن يكون ناقصًا؟ الجواب: استعذ بالله من الشيطان الرجيم لأن هذه الخواطر لا يلقها إلا الشيطان. الآن أنت جالس وأسأت الظن في أحد ماذا تفعل؟ تفزع إلى الاستعاذة، اليوم نويتِ أن أصلِّي الوتر، فأقول: لا، اليوم خرجت وفعلت. مباشرةً قولي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لا حول ولا قوة إلا بالله.

أنت لست خالية، أنت طوال الوقت تخطر لك خواطر الباطل، الزوج في الدوام، وأنتِ الآن جالسة في البيت يأتيكِ خاطر: الآن عندما يأتي سأحقق معه كيف وكيف؟ أول ما يمر عليكِ الخاطر الآن الشيطان يعرض عليك المسألة فإذا وافقتِ يكتب لك الأحداث الباقية، يقول لك: اسأليه كذا وكذا، لكن لو استعذتِ يندحر، ثم يرجع وأستعذ فيندحر، افهمي العداوة، ثم إنه يسلَّط اختبارًا، هل أنت متعلِّق بالملك العظيم أم أنت مستسلم هكذا؟ من أجل ذلك عندما كنا نتكلّم عن التقوى قلنا: ينعقد مجلس كلما حدثت أحداثًا ، فتسمعين صوت العلم والإيمان يقول: لا يوجد أحد أحسن من أحد، الله أعلم من يدخل الجنة قبل من، ربما هذا الذي أراه لا شيء عند الله شيء وميزانه عند الله شيء، وهناك صوت أخر يقول: لكن أنا فلانة الفلانية وأنا عندي أعمال

(1) [سورة يونس: 57]

وأنا بنيت مسجدًا...يعدد لنفسه، وهذا الصوت يقول: لا، ليس كل شيء مقبول. فهذه هي المعركة الدائمة، بعد هذه المعركة قوي نفسك بالاستعاذة، لكن نحن دائمًا نرى كثيرًا من هذه الخواطر ذكاء، فطنة، أنا أفهم الناس أنا دائمًا لا يخيب ظني، انظر كيف تتحول إلى وصف مدح، ثم اعلم أن النبي–صلى الله عليه وسلم– أخبر خبرًا يقينيًا على هذا الذي يتتبع ظن السوء في الناس ورد عن معاوية–رضي الله عنه–أنه كان يقول: حديث نفعني الله به–عندما مسك السلطان–قال: حديث نفعني الله به، ما هو هذا الحديث؟ (إنك لو تتبعت الريبة في القوم أفسدتهم) كأن تقول: هذا شكله كذا وكذا يفعل. هذه من الخواطر الشيطانية، بدون قرائن طبعًا، ثم ماذا يحدث نتيجة أنك أسأت الظن ثم تتبعت ثم سألت هذا: أين يذهب هذا ماذا يفعل؟ تكون أنت أحد عوامل إفساده هو، وكم من نساء أفسدوا أزواجهم لأنهم تتبعوا ريبًا، وكأن تتبع الريب هو الذي كان سيحفظ الزوج، أي أن القضية مركبة خطأ في عقولنا، أنت فقط احفظ الله يحفظك فقط ما كلِّفت أكثر من ذلك.

لكن على كل حال، عداوة الشيطان غير ظاهرة، الاجتهاد في دفع وسوسته غير ظاهر؛ ولذلك نقول: وأنت تسعى إلى الاجتهاد في قراءة القرآن وفهمه والتدبر فيه لا تظن أنه يغفل عنك، سيكون حريصًا على تشبيه الأمور لك، وأنت ستكون حريصًا على بقائك إلى أن يزيله الله، على قدر استعاذتك وثباتك وتأملك في نصوص كتاب الله.

(اللقاء الثاني)

ألقي يوم الأحد 27/ 5/ 1432هـ في الجمعية الفيصلية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
الحمد لله الذي يسَّر لنا هذا اللقاء ونسأله–سبحانه وتعالى–أن يجعله لقاءً مباركًا مرحومًا اللهم آمين.

لا زلنا في موضوع غاية في الأهمية وهو موضوع: الاستعداد لرمضان بالإيمان. وقد اتفقنا على أننا بحاجة شديدة للعناية بإيماننا سواء في الإقبال على الأزمان الفاضلة أو غادرناها فالإيمان هو حقيقة حياة القلب، وكما أن الخلق فيهم شدة حرص على حياة أبدانهم فالمفترض أن يحرص المؤمن حرصًا شديدًا على حياة قلبه، ولو آمنا إيمانًا حقيقيًا أن حياة القلب هو الإيمان، كان وقع في القلب عناية بالإيمان، وكما ذكر أبو الدرداء–رضي الله عنه–: يكون العبد فقيهًا في نفسه.

وما هو فقه العبد؟

أن يعرف منزلته من الإيمان في هذه الساعة، هل إيمانه زائد أم ناقص؟ ما سبب زيادة أو نقص الإيمان التي يعيشه في هذه اللحظة؟ إذًا العناية بمسألة الإيمان ليست حكرًا على رمضان، لكنها في غاية الأهمية من جهة الاستعداد لرمضان، وهي تفسير لحالة تتكرر علينا، أننا نقبل على شهر رمضان ونكون متحمسين ونريد أن تكون نقطة تحول في حياتنا، ونسمع ونسمع، لكن دائمًا نسمع في الوقت الذي يكون فيه الموضوع قد انتهى، لكن المنطق يقول: إن الاستعداد يسبق الاستقبال، هذا المنطق الذي نستعمله مع ضيوفنا، هل نحن نستعد قبل أن نستقبلهم أم بعد أن نستقبلهم؟ نستعد، ثم نستقبلهم، فعندما نتذكر أنفسنا في آخر أسبوعين في شهر شعبان أن شهر رمضان قادم ونريد أن نقوم بأعمال إيمانية من أجل أن نستعد له، أو يأتي هذا الكلام في آخر أربعة، خمسة أيام من شعبان، بعد أن حلّ الضيف وما بقي له شيء كثير لا تستطيعين أن ترمي وتجهزي أو تستعدي كما ينبغي، فيكون استعداد هزيل، ولذلك هذا الاستعداد لا يكفيني إلا عشر أو اثني عشر يومًا أقصى حد، ثم بعدها أجد نفسي أشعر أنني نزلت.

من أهم الأسباب التي تجعلني أتكلم عن الإيمان الاستعداد لرمضان قول النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((من صام رمضان)) ومثله ((من قام رمضان)) لكن الشرط ((إيمانًا واحتسابًا)) فأنا لا بد أن أحقق شرط إيمانًا، والاحتساب مبني على الإيمان، أنت إيتِ بالإيمان ثم تدخل على رمضان فتستطيع أن تنتفع بدقائق اللحظات. لذلك من تعرف إلى الله في الرخاء يعرفه في الشدة، يجب أن تعرف أن رمضان زمن شدة ثلاثين يومًا نريد أن نقوم بكل الأعمال فيه، كل الأعمال الواجبة، والمستحبة، والفاضلة، والتي تأخذ منا زمنًا. فأنا أريد أن أذهب إلى العمرة، وأطوف وقلبي معي في الزحام، وأسعى وقلبي معي في الزحام، وأنتهي من الطواف والسعي وأصلّي وأيضًا لو أفطر في الحرم يكون أفضل، هذا كله ممكن أن تقوم به بدنيًا لكن من أين لك أن تجد قلبك في كل هذه الأعمال المتتالية؟ ولذلك كثير ممن يذهب إلى الحج يقول: والله طفنا ولا ندري ماذا قلنا!! سعينا وقال لنا الناس الذين معنا: أنتم في الشوط الرابع أو الخامس! من كثرة ما ضاع عقلنا منَّا، طبعًا هذا عمل حقق الشروط وهو المتابعة لكن ما منزلة صاحبه؟ تعتمد على مقدار قدرته على جمع قلبه وقت العبادة. ولهذا تدرّب، الناس اليوم مقتنعون أننا في زمن التدريب، أي شخص خطه سيء يقال له: ادخل دورة تدريبية ليصبح خطك حسنًا، شخص لا يعرف كيف يتكلم يدربونه ليتكلم جيدًا، إلى درجة أن شخص لا يستطيع أن يسير كما ينبغي نتيجة أي مرض أصابه يقولون له: اعمل علاج طبيعي ستتعدل.

ما دامت هذه القاعدة موجودة في البدن، أضعافها موجود في القلب، القلب يُدرَّب على الأعمال، يُدرَّب أن يحجز نفسه أن يخاف من غير الله، تحجز نفسك، تزد نفسك، القلب يُدرَّب على ألَّا ييأس من روح الله ويُدرب على ألا يقع فيه شيء من سوء الظن بالله، يُدرب على ما نسميه بالأعمال القلبية، والأعمال القلبية قوتها على قدر قوة الإيمان. لا بد أن نعيد ونزيد في هذا الكلام، لا بد أن نقتنع أن العبادات القلبية هي رأس العبادات، فالحب، الخوف، الرجاء، أليست رأس العبادات؟ أين مكانها أي عضلة في البدن تقوم بها؟ ليس مكانها إلا القلب.

فلا بد أن أدرّب قلبي كيف يطرد محبة كل أحد سوى الله.

يجب أن أدربه أن يقول: (لا) على أي شيء يمكن أن يتضخم، أي محبوب يمكن أن يتضخم لا أسترسل معه، أليس تعس عبد الدينار؟ وتعس عبد الدرهم؟ والخميلة والخميصة؟ الخميلة والخميصة هذه فتنة النساء (الملابس) أي القطيفة؛ أي الشيء الفاخر من الملبوسات والمفروشات، فإذا كان هناك من يحب الريالات وتختلف معهم ألوان الأوراق النقدية وتغري قلوبهم، بل هناك أناس آخرون لا يغريهم الأوراق النقدية إنما

يغريهم ما يلبسون ويؤثثون في بيوتهم، معنى ذلك أن الإنسان يمكن أن يكون عبدًا لمثل هذه الأشياء، هذا من كلام النبي–صلى الله عليه وسلم –كيف يمكن أن يكون عبدًا؟ يشغل مكانًا يجب ألا يكون فيه إلا الله يشغله بهذا. المكان الذي يجب ألا يكون فيه إلا الله هو قلبك، ويجب أن يكون شغلك الشاغل ثناؤه–سبحانه وتعالى–، ورضاه، هذا الذي حوله تطوف وإليه تسعى، طيلة الوقت تفكيرك أن تطوف حول ثنائه وتسعى إلى رضاه، ماذا عن عبد الدينار والدرهم والخميلة والخميصة؟ هذه الأشياء هي غايته ومناه. فكأنك أنت ابتليت الآن بالذوق الفاخر، وأصبحت عينك تنزل على الأشياء تنتقدها في لحظة، ودائمًا يأتي في خيالك؛ نفسي ألبس كذا وكذا أفرش كذا وكذا، ويتضخم الأمر فتمسك (لا) وترد هذا التضخم الحاصل، وتقول: والله ما أشغل نفسي بهذا والله ما أفكر بهذه الأشياء، ترد من قلبك مثل هذه الأمور، ردها في التفكير والتعلق غير استعمالها ببدنك، هذا أمر وهذا أمر، أي البس، افرش، هذا شيء، غير أن تُمضي ليلك ونهارك في اجتماعات حول هذه الغرفة ماذا يجب أن يكون لونها؟ هذه الزاوية شكلها يحتاج مزهرية! وكلَّما جاء أحد نقول: ما رأيكم؟ نديره هكذا نأتي به هكذا؟ شغلٌ شاغل. فكأنك أنت عندما تقول:(لا إله إلا الله) تقول: أنا أستعمل (لا) استعمل النفي هذا دائمًا لأنني طوال الوقت متعرضة له، طوال الوقت أستعمل (لا) دائمًا تكنس من قلبي، تقطّع من قلبي كل أحد، وأيضًا أستعمل (لا) حارسه على قلبي أمنع أي شيء أن يتضخم، وهذا الكلام كله تأويل لقوله تعالى في سورة التوبة–وهذا أمر مهم أن تفهمي هذه الآية في سورة التوبة–: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ} هذه كلها محبوبات شخصية، وبعد ذلك: {وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا}.

هذا هو الواقع الذي نعيشه:

- إما أشخاص.
- أو أموال.
- أو مساكن.

هذا الواقع الذي نعيشه، إذا كان هؤلاء{أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ}[1] وعندما تسمعين كلمة (جهاد) لا تتصوري أن القصة فقط السيف، إنما هذا الذي نعيشه طيلة الوقت في قلوبنا جهاد، الذي هو التقوى، كما ذكرنا سابقًا أننا طيلة الوقت في جهاد التقوى، والدليل على ذلك اذهب لسورة العنكبوت

(1) [سورة التوبة: 24]

واقرأ قوله تعالى: {الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}[1] وأخرها {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}[2] إذًا هذا هو الجهاد المقصود، فالجهاد اسم عام يدخل فيه بالسيف والقلب.

نرجع لآية التوبة: إن كان هؤلاء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ماذا يحصل؟ {فَتَرَبَّصُواْ} هذه الأشياء التي أحببتموها وتضخمت: انتظروا وستتحول هذه المحبوبات إلى سوط عذاب عليكم لأن الإيمان نُزع وخرج وحل مكان الإيمان هذه المحبوبات، مشكلة عظيمة نحن نعيشها وهذا سبب ورود هذه الآية والله أعلم في سورة التوبة، عندما يصلح العبد الظاهر ويترك في الباطن أشياء يمكن أن تأكل باطنه، هذه تسمى دسائس موجودة في القلب تتضخم مع الأيام فتهلك القلب.

في سورة التوبة يقال هذا الكلام: يوجد ناس أصلحوا ظاهرهم وبذلوا في ظاهرهم وقالوا كلامًا جميلًا، لكن في النهاية ما في قلوبهم هو الذي ظهر، لذلك التوبة تسمى الفاضحة تفضح النفاق، تفضح الصورة التي لمعت من الخارج ومن الداخل لم يعتنِ بها كما ينبغي.

على كل حال، الإيمان مكانه القلب، الإيمان يزيد وينقص، الإيمان يحتاج إلى حراسة، الإيمان يحتاج إلى تقطيع علائق مع غير الله، وكلما زدت عمرًا المفترض أن تكون زدت نضجًا في ذوق طعم الأشياء، لو عندك علم بالله وخبرة وزمن وأيام مررت بها ستقول لنفسك: أنا ذقت كل شيء وطعم أي شيء في الدنيا يذهب ولا يبقى منه شيء. لو مثلنا صورة الشابات في وقت قبل العيد أو وقت قبل زفاف معين يريدون حضوره وحرصهم الشديد على أن يشتروا هذا الملبس، ويحلمون به ومتى الوقت الذي يحصلون عليه ويمتعون أنفسهم بالنظر إليه، وبعد ذلك يلبسونه، بعد شهر اسأليهم عنه؟ لا شيء! لا طعم له، بل لو جاءت مناسبة جديدة أصبح ذاك لا قيمة له! ولو أتينا السنة التي بعدها وقلنا لها: هل تذكرين الفستان السابق؟ تقول: لما عملت هذا الفستان لم يكن عندي ذوق! غيَّرت وجهة نظرها أي أنه ليس فقط أصبح لا يمتعها، بل غيرت وجهة نظرها، وأصبحت تشعر أنها لم يكن عندها ذوق عندما اختارت هذا اللون أو هذا الشكل، تخيلي هذه حلاوة الدنيا تسقط من العين ليس لها قيمة، والله–عزَّ وجلَّ–جعلها بهذه الصورة لئلا يكون مرفئك ومرساك في الدنيا، فما الذي يقطع

(1) [سورة العنكبوت: 1،2]
(2) [سورة العنكبوت: 69]

عروق التعلق بالدنيا ويعلق الإنسان بربه؟ قوة الإيمان تقطع علائق القلب بالدنيا، لذلك يبقى موضوع الإيمان مهم جدًا سواءً كنا نتكلم عن علاقته برمضان أو كنا نتكلم على وجه العموم.

ما هي الأسباب التي تزيد الإيمان؟ أسباب زيادة الإيمان لها كلام إجمالي وكلام تفصيلي. كلامها الإجمالي مجموعة في ثلاثة:

1. تعلم العلم النافع.
2. يركب عليه (التأمل) عبادة التفكر التي تجري في الكون أو حياة الشخص.
3. ثم يركب عليه الأعمال الصالحة.

وهو خط أفقي، قاعدته أن تتعلم، فإذا تعلمت ابنِ على تعلمك عبادة التأمل، فإذا قوي هذا ستجد نفسك في العبادات ستجد قلبك عندما تزيد العبادات، هذا خط أفقي يبنى بعضه على بعض، وأيضًا هذا لا يعني أن تتم العلم لتتحول منه إلى التفكر ولتتحول بعدها إلى العبادة، لا، كلما حصلت على شيء من العلم لا بد أن يقترن معه شيء من التفكر، لا بد أن يؤثر في عبادتك. فعندما أقول بعد الصلاة: (اللهمّ أنت السلام ومنك السلام) ودرسنا مثلًا معنى (السلام) وكيف أنه اسم يشمل جميع صفات الله وهذا يحرر لك لماذا نقول هذا الاسم بعد الصلاة؟ المفروض أن معرفة هذه الاسم تجعلني أستحضر ما أستطيع وأنا أقول: (اللهمَّ أنت السلام ومنك السلام) فالذي تعلمته يزيد جمع قلبي ولو لثانية في كلمة: (اللهمّ أنت السلام ومنك السلام) فلو لم ينبهك أحدهم أن انظر إلى هذا الاسم العظيم كيف أن معناه دفع سوء الظن عن الله، وكيف تعرف أنه سلام–سبحانه وتعالى–أنه حكيم في أفعاله وحليم–سبحانه وتعالى–إلى آخر ما يذكر في هذا الاسم.

كيف ستؤثِّر هذه الملاحظة عليك وأنت تقول: (اللهمّ أنت السلام ومنك السلام)؟

ستؤثر في قلبك، ستركزين فيما تقولين، صحيح أنه ليس شرطًا أن أستطيع أن أستحضر كل شيء، لكن سيفرق قبل ذلك كنت كثيرًا أقول: (اللهمّ أنت السلام ومنك السلام) غير مركز، الآن شعرت أن هذه كلمة لا بد فيها من تركيز، على الأقل هذا نوع من التقدم.

أي:

- أتعلّم
- وأتفكّر
- فيؤثر في علمي وعبادتي

لا بد أن يؤثر على عبادتي.

مثلًا: سمعت درسًا عن أهمية العلم، وقيل لك في وسط الدرس أن من دلائل أهمية العلم أننا كل يوم بعد صلاة الفجر نقول في أذكار الصباح: " اللهمّ إني أسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيبًا وعملًا متقبلًا " إلى هذه الدرجة العلم مهم لدرجة أنه هو أول مطلوب، هذا الدعاء خطة اليوم، بل قال أهل العلم بأن الثلاثة هذه كلها تشير إلى العلم، فإن (علمًا نافعًا) كلمة صريحة (ورزقًا طيبًا) لا يكون طيبًا إلا بناءً على العلم فأنت من أجل أن تفرّق أن هذا حلال أو حرام يجب أن يكون لديك علم، و (العمل المتقبل) يكون متقبلًا إذا كُنت أتيت به على ما يحب الله وعلى سنة النبي–صلى الله عليه وسلم– فيجب أن تتعلم السنة من أجل أن تعرف هذا العلم، فأصبح العلم عماد خطة اليوم، والمفترض أن يثقِّل الناس أنفسهم ويزنوا أنفسهم على قدر ما معهم من علم، لا بد أن تزِن نفسك، كيف مرَّ بي هذا اليوم؟ هل اليوم مبارك وانتفعت بدقائقه أم لم يكن كذلك؟ بناء على الخطة الثلاثية التي أهمها ورأسها هو العلم النافع.

المقصد أني تعلمت بأن العلم شيء مهم وقلت الدعاء في أذكار الصباح: (اللهمّ إني أسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيبًا وعملًا متقبلًا)، وقيل لي إن هذا الدعاء دليل على أهمية العلم، فعندما أقول الدعاء أكيد سيتحرك قلبي ولو بمقدار ثانية بعدما كان لساني يقوله كلامًا؛ ولهذا العلم لا ينفع فيه أن تأخذه وتذهب، العلم لا بد أن يصبح مثل المضخة الدائمة، مثلما يضخ الدم في القلب ويضخه القلب في البدن مثله العلم يضخ إليك وأنت تضخه في نفسك، فلا تتصور أن العلم تأخذه وتنتهي علاقتك به ويبقى أثره عليك، لا بد أن يكون لك صلة بالعلم إمَّا تكرار نفسه أو تأتي بشيء جديد من العلم والجديد يأتي مع القديم ويجمعان، لماذا؟ لأن العلم يأتي بالإيمان والإيمان حياة القلب، هل يمكن أن يعيش الإنسان بدون دم يضخ من قلبه؟ الجواب: لا، كذلك قلب المؤمن لا يمكن أن يعيش بدون إيمان، والإيمان أحد أسس تغذيته العلم. فلا تتصوري أن يأتي أحد ويقول لك: من أجل أن يزيد الإيمان تعلم. فتقول: أنا جلست ثلاث سنوات أتعلم يكفي ذلك! لا، لا يكفي ذلك يجب أن يبقى الإنسان على صلة بالعلم، بأي صورة ليس شرطًا الخروج، فعندما تسمع كلمة العلم بالذات اليوم لا

تتصور أن شرط العلم الخروج أو الاجتماع بأشخاص معينين، العلم أصبح يسيرًا سهلًا، وهذا مما يزيد علينا الحساب:

- إذا تكلَّمت عن إذاعة القرآن فما أدراك ما إذاعة القرآن؟!!
- إذا تكلَّمت عن الصفحات التي تنقل الدروس المباشرة من الدورات العلمية للمشايخ وكبار العلماء فما أدراك ما هذه الصفحات، من كثرتها وتعدُّدها!!
- إذا كنت تريد أن تتكلم عن شيء مخزن للعلماء الذين كانوا فستجد كمًّا عظيمًا!!

فالعلم لا يشترط أن تأخذه بطريقة معينة، فتأتي لأحدهم وتقول له: لماذا لا تتعلم؟ فيقول: والله ليس عندي مواصلات. من قال إن العلم يجب أن تذهب له؟ الأمر يسير والفضل لله، أنتِ تصوري ما هي الإذاعة؟ الإذاعة عبارة عن موجات في السماء تطير، فقط أنت أتي بجهاز وألتقطيها، يعني إلى هذه الدرجة اقترب العلم، العلم في بيوتنا يطير فقط بقي أن أتي بجهاز تفتحه من أجل أن تلتقطيه وتسمع الإذاعة التي فيها كلام مبارك عن الله وعن رسوله وعن ماذا يجب أن يكون العبد في حياته، وهذا من فضله–سبحانه وتعالى–: تكثر الفتن على الخلق وفي المقابل من فضله علينا يسهل العلم، من أجل أن يقال للعبد: نعم الفتن كثيرة، لكن لا تنكر أن في المقابل العلم كثير؟ لا ننكر فضل الله، فلا نندب زماننا كل مرة وتقول: نحن مفتونين والفتن كثيرة ولا نستطيع أن نقاوم، نقول: صحيح الفتن كثيرة لكن في المقابل العلم يسير وسهل ومن مكانك تتعلم، فكل هذه أصبحت شواهد علينا. على كل حال، ما دام العلم هو الرأس والقاعدة زيادة الإيمان، إذًا لا بد أن يكون مبحثًا طويلًا في مناقشته.

ما هو العلم الذي نريده؟

العلم الذي يزيد معرفتك بالله ومعرفتك بحقه.

أي أنا عندي شقّين للعلم وعليهما يدور أي نقاش حول العلم، حول هذين الشقين.

العلم النافع ما هو؟!

- الذي يزيد معرفتك بالله.
- ويزيد معرفتك بحق الله.

فلم يصبح عندي إلا مسألتين هما:

- **أنا أريد أن أعرف الله.**
- **وأريد أن أعرف حق الله.**

وإذا عرفت الله سيسهل عليك أداء حق الله، وإن عرفت حق الله ستعرف يقينًا كيف تأتي بحقوق الآخرين.

فأنت عندما تبر والديك، ماذا يكون سبب قيامك بالبر؟ عندما أمرك الله بالبر أصبح لهما حقًا عليك، وحقهم عليك ما أقره حقًا إلا الله ولن يحاسبك عنه إلا الله. هذا المال لله فيه حق وهو الزكاة والصدقة لأن الحق بين واجب ومندوب، إذًا الصدقة صحيح أنت تعطيها للفقراء لكنها أصلًا حق لله، فأصبح الدين في كلمتين: معرفة الله ومعرفة حق الله.

غالبًا ونحن نتعلم نجتهد في معرفة حق الله أكثر من اجتهادنا في معرفة الله!

ولذلك نجد ما نجد من برود ومن انقطاع في أداء حق الله، من ردود فعل ما كان يجب أن تكون، تجده بيمينه يتصدق وبيساره يمنّ على الخلق لأنه لا يعرف أن الله هو المنّان، من أجل ذلك وقع منه هذا الأمر، ولذلك بيُسر وبسهولة أبطل عمله.

نريد أن نرتب المسألة ترتيبًا منطقيًا، ماذا يجب أن تفعل؟

أولاً تتعلم عن الله تعالى لتعرف الله، ثم إذا عرفت الله تعالى وأنت حريص على هذا الأمر تعلم حق الله تعظيمًا لله فتؤديه، فجاءني بعد ذلك العمل الصالح.

عبد يعرف الله ويعرف أن من أسماء الله تعالى أنه (توّاب) ماذا سيؤثر عليه؟ عندما يفشل لا ييأس، أنا أعرف الله أولًا ثم أعرف حق الله، حق الله أن أفعل كذا وكذا في هذا الموقف، لكني فشلت، عندما أعرف الله سأعاود الكرَّة. مثال: (المنظومة القيمة الإسلامية) تطلب منك أن تجتهد وتعمل ويكون كل جهدك وعملك في الحياة تعمله لله حتى حرثك في الأرض تقصد به التقرب إلى الله، لو فشلت في الفعل ماذا يقول النبي–صلى الله عليه وسلم–؟ (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن)[1] **وفي رواية أخرى** (لا تعجزنّ) **بنون التوكيد.**

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، 2664

عندما نأتي في منظومات قيمة دنيوية: واحد تربى على القيمة (الإنتاجية) أهم شيء أن ينتج ولا يعرف أن الإنسان لو فشل في الإنتاج يمكن أن يعيد الكرَّة، هناك (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز) إذا فشلت تعيد الكرَّة وتسأل الله وتطلب منه ولا تيأس من روحه وتكرر نتيجة أنك تعرف الله وتعرف أن الله–عزَّ وجلَّ–يربي عباده وتعرف أنه إذا لم يعطِك اليوم سيعطيك غدًا، (لا تعجزنّ) لا تفشل! حاول اطلب من جديد، جماعة آخرين ليس لديهم هذه القاعدة عندهم قاعدة أن (الإنتاجية تحدد مَن أنت؟) فشل، ماذا يفعل؟ يفتح النافذة ويلقي نفسه ينتحر وانتهى الموضوع! إذا لم يتمكَّن من الإنتاج، ييأس وبعد ذلك يقتل نفسه! ما العلة؟ لا يعرف الله.

المقصد أننا لا بد أن نعرف الله قبل أن نقوم بالأعمال لئلا يقطع علينا الشيطان سبيل الوصول إلى الله، كم يأَّس الشيطان أهل الإيمان من طريق الله؟ يأّسهم كثيرًا، كثيرًا ما يأتي الشيطان للإنسان ويقول: الآن بعدما فعلت كل شيء واستجبت لغضبك أو فعلت ما تريد من هواك تريد التوبة. ولأن هذا الإنسان لا يعرف الله لا يعرف أن التوبة فعل من العبد يفرح به الرحمن مهما كُرِّرت، فمعنى هذا أن عدم معرفة الله تسبب للإنسان اليأس والتوقف وهو يعمل الأعمال الصالحة، تسبب له أن يعامل الله العظيم كامل الصفات كما يعامل الخلق يقيس بعقله يقول: عندما أخطئ في حق واحد واعتذر له وأكرر بعد ذلك الخطأ، لا يكون لي وجه أقابله به، نقول: هذا الكلام مع الخلق لكن مع الله أنت تتعامل مع من هو كامل الصفات، لكن عدم معرفة الله جعلت الخلق عندما يقومون بالأعمال لا تسبب لهم الأعمال زيادة الإيمان أحيانًا تسبب لهم نقص الإيمان لأنهم يريدون عملًا كاملًا، فلما تحصل لهم غفلة ولا يعرفون ربنا يستولي عليهم الشيطان ييئِّسهم من أنفسهم ويقول لهم: أنت لا يمكن أن تنجح هذا حالك.

من أجل ذلك العلم النافع في كلمتين هما: معرفة الله ومعرفة حق الله. ويجب أن ترتِّبي المسألة ترتيبًا منطقيًا أولًا لا بد أن نعرف الله ثم نعرف حقه، فإذا عرفت الله أديت حقه كما ينبغي وكلما زاد فهمك لتربية الله كلما زاد جمع قلبك وقت القيام بحقه.

الخلل أنك ما فهمت أن الله ابتلاك بنفس كسولة، فما جهادك؟

أنك لا تيأس. عندي ولد بخيل وعندي ولد كريم الاثنين لهم دخل مال، أعظ ولدي البخيل في الصدقة يخرج عشر ريالات. فأنا أقول: خير وبركة منك أحسن من لا شيء؛ لأنه هو بعد معركة قوية مع نفسه وجهاد أخرجها، والولد الكريم فقط أقول له: هناك عائلة كذا، يقول: حددي المبلغ وأنا أعطيك، هذا يسير عليه الطاعة. لا بد أن نعرف بماذا ابتلانا ربنا في نفوسنا، (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم) وعندما قسّم بيننا أخلاقنا ابتلانا بنفوس لها صفات وكل القصة أن تعرف ربك ولا تيأس ربنا يريد من الخلق أن يزكوا أنفسهم، أي يدخل عليها الإيمان ويضع يده على نقاط ضعفه ويعيد ويزيد عليها مثل تنظيف الصدأ تعيد وتزيد إلى أن يذهب. لكنها في النهاية نقطة ضعف. أين الآن النجاح؟ إنك لا تيأس من روح الله، اليأس من روح الله إنما هو خطة الشيطان فعل الشيطان طالما أنت متعلق بحبال الله لا يخذلك الله ولو بعد حين.

زيادة الإيمان لها ثلاثة أسباب مجملة:

- العلم النافع.
- التدبر والتفكر.
- والأعمال الصالحة.

عندما نريد التحدث عن العلم النافع ماذا نقول؟ اختصروا العلم النافع في كلمتين؟

- معرفة الله.
- معرفة حق الله.

ولا بد أن يكون مرتب بهذه الطريقة، ولذلك إذا عرف الناس الله أدوا حقه بلا يأس ولا منازعة يعرفوا أن يصلوا إلى ربهم كما يحب ربهم، يرغمون أنف الشيطان، أنت تتوب، فيندحر الشيطان ويبكي.

مصدر العلم النافع:

- الكتاب.
- والسنة.

ولهذا أنت تريد أن تزيد إيمانك لا بد أن تعامل الكتاب (بالانكباب) تنكب على شيء أي تفرغ نفسك وتطرد المشاغل ليس بأن تعطيه فضل وقتك، الزيادة.

- أنت نعسان لا تدري ماذا تقول؟!
- أو مستيقظ من النوم لا تعرف ماذا تفعل؟!
- أو تخطط وأنت تقرأ كل ثلاثة أربعة صفحات تقرؤها تقول: يجب أن أذهب وأفعل وأعمل.

لا يصح، هذا ليس انكباب، هذا أداء وظيفة وهذا لا يعني أنك لا تؤجر على ذلك، أنا أتكلم عن كيف يكون هذا القرآن سببًا لزيادة الإيمان، فننكب على الكتاب ثم السنة بالترتيب ثم أنت ستجد أن هذا يشهد لهذا.

لنبدأ هذا الشهر بالانكباب على الكتاب، وإن شاء الله كما اتفقنا سنكتب خطة قصيرة المدى لعلاقتي بالقرآن، لكن بعدما تجمع في قلبك مجموعة اعتقادات تجاه القرآن، لا بد أن تجمعها في قلبك وتحرك قلبك عليها. أول اعتقاد: أن هذا القرآن كما قال تعالى في سورة الإسراء: {إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ يِهْـدِي لِلَّـتِي هِـيَ أَقْـوَمُ}[1] تريد أن تقوم حياتك سيهديك لذلك كلام الله، يجب أن تعتقد هذا.

واتفقنا أن هذا القرآن فيه شفاء لأمراض الشهوات والشبهات التي يمكن أن تصيب الإنسان، نعم، نحن نصاب بمرض شهوة أو بمرض شبهة ولا أحد منزه عن ذلك، واتفقنا ونحن نقرأ في كتاب الله ألَّا تأتِ إلى آيات وتظنين أن ليس لكِ علاقة بها، تكون الآية فيها كلام عن الربا وتقولين: ليس لي بها علاقة أو كلام عن الزنا أو عن السرقة، لا، كل القرآن أنت مخاطب به:

- أمور مخاطب بها مخاطبة مباشرة.
- وأمور تتعلمها لتحجز نفسك.

وفي وسط هذا كله يقال لك: {فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}[2] لا تأتِ في موقف وتقول: لا أنا مثل هذه الأمور لا أحتاج معالجتها، الذي يحتاجه كل الناس كرر عليك في القرآن، والذي يحتاجه فئة من الناس خاصة والناس كلهم على وجه العموم يحتاجون أن يكونوا في حذرٍ منه ذكر في مواطن معينة. وأسألك الآن في كم موطن ذكر مثلًا السرقة في كتاب الله؟ قارني ورود السرقة في كتاب الله بورود مثلًا قضية مثل قضية النفاق؟ فتفهمين هذه القاعدة تفهمين أن كل شيء كُرر أنت في عرضة له أكثر، وكل شيء ذُكر أنت متعرض له، لا تزكي نفسك عنه كل شيء ذكر من الذنوب والمعاصي والآثام هذا ما أقصده.

(1) [سورة الإسراء: 9]
(2) [سورة النجم: 32]

اعتقدنا أن القرآن يهدي للتي هي أقوم واعتقدنا أنه (شفاء لما في الصدور) وهذه مهمة فالقلب مليء بالأمراض وشعورك بأنك مريض يجعلك تتمسك بالقرآن لأنه شفاء.

نعتقد أن الإنسان في ظلمة والقرآن يخرجه من الظلمة إلى النور، فكل شيء ستتعلمه سينير لك، لكن هذه المشاعر لا تشعر بها إلا إذا شعرت أنك حقًا في ظلمة، وأريد منكِ أن تتصوَّري لو أنكِ موجودة في مكان واسع ومظلم تام الظلام، أي مشاعر خوف ستكون موجودة في القلب؟ خصوصًا أن هذا ليس بيتك ولا تعرفين ملامحه من أجل أن تمسكي بشيء! أكيد أنك لن تستطيعي أن تسيري، ولن تعرفي ما هذا الذي تحت يديكِ وكل شيء ليِّن سيخيفك ويمكن أن يكون حشرة أو حيوان مخيف، ويمكن أن يكون العكس، فالنتيجة لو شعرتِ تجاه الحياة بهذه المشاعر لا بد أنك ستتمسكين بما يقال لك إنه نور، لكننا مكتفين بالنور الماديّ وصرنا ننظر إلى الحياة على أنها منيرة لا نعرف أن القلوب واقعة في وحشة وظلمة، لأنها لا تعرف ماذا يريد الله؟

فإن الظلمة أن تعيش كثير من زوايا حياتك ولم تسأل نفسك: هل هذا الذي أفعله يحبه الله، يرضاه الله أم لا؟ كثير من زوايا الحياة لا أستطيع تفسير ما الذي يجب أن أكون فيه، ما هو الحال الذي يرضي الله–عزَّ وجلَّ–؟ كل هذه المواطن تعتبر نقاط ظلمة في حياة العبد.

نأتي إلى النقطة الرابعة: لا بد أن تعتقد أن القرآن روح للقلوب، كما أن هناك روح في البدن هناك روح في القلب والدليل واضح في سورة الشورى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا}[1] بكلمة مختصرة: ماذا أعتقد في القرآن؟ ماذا يعني أنه روح؟ أنك ميت بدونه لا بد أن تفهم ذلك؛ لأن الحياة الحقيقية هي حياة القلب، بدون القرآن أنت ميت، وهذه المشاعر القلبية الدقيقة هي التي تنقصنا فعندما أقيس حياتي أقول: لا ينقصني مطعم ولا مشرب وأنام وأعيش حياة طيبة، وهذا كله والإنسان بعيد عن القرآن، متى يشعر بنقصه؟ عندما يتذوَّق القرآن ويشعر بأنه يُحي القلب ثم يحُرم منه، يفهم أنه حقًا انقطعت حياته، لكن أنتِ لا بد أن تتيقني كما أخبر سبحانه وتعالى–أن القرآن روحٌ للقلب بدونه القلوب ميتة، مهما تفلسف من يكلمك فلسفة طويلة عريضة وشرَّق وغرَّب كلامه وتفلسف، ما دام لا يعرف القرآن إذًا هذا واحد قلبه ميِّت؛ لأن الله أخبر عن

(1) [سورة الشورى: 52]

الوحي، عن القرآن بأنه روح. وموطن الشورى ليس الموطن الوحيد الذي أخبر بأن القرآن روح، بل كُرّر الخبر عن القرآن بأنه روح، فمن لم تكن له علاقة بالقرآن كما ينبغي، فليس له روح في قلبه.

واعلم أن الله–عزَّ وجلَّ–عندما جعل حياة البدن متوقفة على دفق الدم من القلب وجعل حياة البدن متوقفة على سريان الروح فيه، جعل مثيلها في القلب، أي جعل للقلب مادة يعيش بها وهي العلم، وجعل للقلب روح يتمتع بها الإنسان وهي القرآن، وهذا كله من عظيم تقريب الأمر لنا أي أنك ترى واحدًا قلبه لا ينبض فترى أنه ساكن لا قيمة له، هذا بالضبط مثل واحد لا يدخل إلى قلبه العلم لأن العلم حياة القلب.
مثله واحد هامد لا روح فيه هل ينفع؟ لا ينفع، كذلك واحد موجود في الحياة يأكل ويشرب لكن ليس له علاقة بالقرآن إذًا لا روح فيه، أي تصوَّر أن واحد لا يوجد في جوفه شيء من القرآن إذًا يمشي على قدميه صحيح يأكل ويشرب في نظر الناس أن له روح، لكن حقيقته أن لا روح له، لذلك شُبّه الذي ما في جوفه قرآن بالبيت الخرب صحيح صورة بيت لكن في الحقيقة شيء مهجور لا قيمة ولا نفع له. أيضًا لا بد أن نعتقد أن الكتاب الذي أحيا الله به قلوبًا كانت ميتة وجعلها به في مصاف المؤمنين الصادقين.

سنأتي إلى مرحلة أعلى من المرحلة التي مضت: القرآن فيه روح وفيه حياة هذه الحياة كلما زادت علاقتك بالقرآن زادت روحك كلما زدت نشاطاً وقرباً من الله كلما اقتربت من وصف المؤمنين الصادقين. على قدر ما معك من القرآن . ولا نقصد بذلك الحفظ . بقدر ما نقصد الفهم العميق بقدر ما يزيد فيك الإيمان وبقدر ما تكتسب نوراً وبقدر ما تكون فيك الروح قوية، يعني روح شاب تتمتع بالحيوية أكثر من روح طفل، الذي عنده من القرآن الشيء القليل فيه روح لكن ليس مثل روح من عنده أكثر من القرآن. يعني قوتك وصبرك وانتفاعك بمواقف الحياة وتأملك في أفعال الله كله يعتمد على قوة ما معك من القرآن، ثم انظر كم تهنا ونحن نتعامل مع الناس كم تهنا ولست أعلم هل ردة فعلي صحيحة أو غير صحيحة؟

انظر للقران أولاً اتفقنا {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ}[1] ثم أن القرآن ليس حياة لك فقط، فجمع في الآية الأمرين، يكون لك حياة وفي نفس الوقت نتيجة وجود القرآن سيكون معك نور، ماذا تفعل بهذا النور؟ تمشي به في الناس، دائماً نختار ما هي ردة الفعل الصائبة؟ كيف أتعامل مع الخلق؟ كلما زاد عندك القرآن كلما

(1) [سورة الأنعام: 122]

وُفِّقت لتصرُّف سوي، صار معك كأنه نور تسير به في الطريق، وعلى ذلك الناس كلهم في ظلمة ومن معه القرآن في نور يمشي ومعه القرآن الذي هو بمثابة النور الذي يسير فيه.

على كل حال، نريد أن نصل إلى برنامج نتفق عليه ونصل منه إلى أول خطوة في عملية التدبر قبل أن أناقش هذه المسألة لنرى ماذا كان يرى الأسلاف–أي سلف الأمة–كيف كانوا يرون القرآن؟

قال الحسن البصري–رحمه الله تعالى–: (إن مَن كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبّرونها بالليل وينفذونها بالنهار). إذًا أنت المخاطب بذلك تقرأ في الليل وتفهم وفي النهار تنفعل بالآية التي فهمتها. وكان يعتب على من جعل همّه مجرّد القراءة! وإن كان القارئ يُؤجر بمجرد قراءته، لكن الذي لا شك فيه أن القراءة النافعة للقلب المؤثرة في زيادة الإيمان هي القراءة المتدبّرة النافعة الخاشعة هي التي تؤثر في القلب وتكون روحًا ونورًا كل هذا أتى في القراءة النافعة. ولهذا يقول الحسن رحمه الله: (يا ابن آدم: كيف يرقّ قلبك وإنما همّك في آخر سورتك؟!) أي: أفتح المصحف وأبدأ السورة وأعدّ كل قليل، كم بقي لي من الصفحات! إذا كان هذا هو الهم، إذًا لن يرق القلب بالقرآن.

وهذا أحد الممنوعات المهمة التي لا بد أن نمتنع عنها من أجل أن ننتفع بالقرآن: همومنا ونحن نقرأ القرآن، احذر أن يكون همك آخر السورة، وهذا موجود خصوصًا عندما نسارع في الختمة يكون عقلنا في آخر السورة. قال الآجري رحمه الله: (ومن تدبر كلامه عرف الرب–عزَّ وجلَّ–، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته، فألزم نفسه الواجب، فحذر مما حذَّره مولاه الكريم، فرغب فيما رغّبه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند استماعه من غيره كان القرآن له شفاءً فاستغنى بلا مال، وعزَّ بلا عشيرة، وأنس مما يستوحش منه غيره،وكان همّه عند التلاوة للسورة إذا افتتحها متى أتّعظُ بما أتلو؟! ولم يكن مراده متى أختم السورة؟! وإنما مراده متى أعقل عن الله الخطاب؟! متى أزدجر؟! متى أعتبر؟! لأن تلاوة القرآن عبادة، لا تكون بغفلة، ولاتنسى أن الله هو الموفق لذلك) أي متى أفهم عن الله ماذا يريد مني؟ متى أعتبر؟

ولا تنس أن الله هو الموفق لذلك، لذلك ستأتينا عبادة منفصلة نناقشها–إن شاء الله–وهي عبادة الاستعانة، وهو معنى قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وماذا تعتقد فيهم، وكيف يؤثران عليك؟

وقال الحسن البصري رحمه الله –مبينًا معنى تدبّر القرآن–: (أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فَمَا أُسْقِطَ مِنْهُ حَرْفًا، وَقَدْ وَاللَّهِ أَسْقَطَهُ كُلَّهُ! مَا تَرَى الْقُرْآنَ لَهُ مِنْ خُلُقٍ وَلا عَمَلٍ!) شخص يقرأ القرآن كله وحفظه بحروفه، فيقول له الحسن البصري: وقد والله أسقطه كله، فيظن الإنسان نفسه وهو حافظ أنه أتى بالقرآن كله، وهو قد أسقطه كله، لأنه لا أثر للقرآن على عمله ولا على خُلقه. حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ:(إِنِّي لأَقْرَأُ السُّورَةَ فِي نَفَسٍ وَاحِدٍ!) هذا تمدُّح الآن لقوة القراءة! وَاللَّهِ مَا هَؤُلاءِ بِالْقُرَّاءِ وَلا الْحُكَمَاءِ وَلا الْوَرَعَةِ، مَتَى كَانَتِ الْقُرَّاءُ تَقُولُ مِثْلَ هَذَا؟! لا أَكْثَرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ مِنْ هَؤُلاءِ!) ليسوا القوم الذين حقًا وقع منهم الورع.

ويدعو أن الله–عزَّ وجلَّ–لا يكثِّرهم لأنهم ضلوا وأضلوا، وهذه المشكلة أنهم جمعوا علينا مصيبتين، هم بأنفسهم ضلُّوا وأصبح الناس ينافسونهم، فأصبح هناك من يدرب نفسه على أن يأتي بالسورة من أولها إلى آخرها بنفس واحد، وهذا من مهارات القراءة العناية بالحروف والنفس والمخارج، إلى آخره، فهؤلاء الآن دخلوا على القرآن لكن من جهة أفسدوا بها القرآن على أنفسهم وعلى الخلق.

قال قتادة رحمه الله: (ما جالس أحد كتاب الله إلا قام عنه إما بزيادة أو نقصان). لا يوجد حل ثالث، إما بزيادة أو نقصان، فأنت الآن تجلس مع القرآن، فإما تغلق المصحف وقد زدت، أو نقصت، (زدتِ) واضح أن تفهمي آيات فيزيد إيمانكِ ويزيد فهمكِ عن الله وتزيد معرفتكِ بأسمائه وصفاته، (نقصتِ) كيف نقصتِ؟

تمرين على آيات يلعن الله فيها الفاسقين، يلعن الله فيها المنافقين الكاذبين تقرئينها وكأن لا أحد يخاطبكِ، كأن الكلام ليس لك، كأنكِ ما عرفتِ أن الذي فيه هذه الصفة يصبح منافقًا، أو ما عرفتِ أن هذا باب من أبواب الخير قريب منك، فتقومين عن القرآن وقد وجه لك الخطاب وأهملتِه فيكون الناتج نقص الإيمان، نتيجة أن الرحمن يتكلم بهذا الكلام ويخاطبك به وأنت يكون علاقتك به الإغفال، وهذا كثير، لدرجة أننا الآن ونحن نقرأ آيات ونفهمها نقول: سبحان الله! كيف كانت هذه الآيات تتلى علينا وتقرأ منذ سنين ولم يكن حتى سؤال

استفهام يثار في عقولنا؟ وفهمنا أن مثل هذه الآيات نحن أهلها وفي مواقف كثيرة يمكن أن نقوم بها وما نشعر، كم تثبطنا عن عمل صالح؟ كم مرة تكاسلنا عن العمل الصالح وما خفنا؟ فعندما تقرئين في سورة التوبة أن من العقوبات أن الله–عزَّ وجلَّ–يثبطهم، قال تعالى: {كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ}[1] معنى ذلك كل مرة تُثبَّط فيها عن عمل صالح عليك أن تضع علامة استفهام: هل أنا ممن كره الله انبعاثهم أو اختبار لي وابتلاء أو هذا معناه أنه يجب أن أجاهد؟ المعنى أن الإنسان يجلس مع كتاب الله فينتفع بالخطاب ويستجيب له ويفهمه أو يهمله، والإهمال يقيمك عن القرآن وأنت ناقص في إيمانك، ناقص في تعظيمك لله، ناقص في انتفاعك، فلا تظني أن هذا الإهمال الحاصل أمر لا بأس به، بل الإهمال الحاصل لا بد أن يكون أثره على المدى الطويل أن يجعل الآيات ترد وتعاد علينا والقلوب قد انقطعت عن التأمل والتفكر.

ولهذا انظر عندما يدخل واحد في الإسلام جديد وتصفين الله–عزَّ وجلَّ–ببعض الصفات أو تقرئين له آية الكرسي وهو يفهم ما تقولين، كيف تنزل على قلبه وتنير له الحياة؟! كانت تقول لي أخت في دعوة الجاليات في خارج المملكة تقسم أنها ما شرحت لأحد سورة الإخلاص إلا أسلم! كم مرة نقرأ سورة الإخلاص، كم مرة نرددها؟ ولا زلنا في يأس وخوف وقلق مع أنني أعيد على نفسي: اطمئني يا نفسي فأنت لك واحد سيّد قد كمُل في سُؤدده له كمال الصفات جوده واسع كرمه واسع ملكه واسع قربه عظيم بيده كل شيء هذا الواحد تفزع إليه الخلائق ولا يردهم، صمد ركن شديد. فما بالك تبات خائفًا أليس لك ركن شديد؟ هذه السورة التي نرددها بعد الصلوات في أذكار الصباح والمساء قبل أن ننام أين هي في الطمأنينة النفسية؟

أين هي في انشراح الصدر؟

أين هي في الثقة؟

أين هي في عبادة التوكل؟

أين هي في إرشاد بعضنا لبعض أن نترك الواسطة ولا نتكلم ولانتذلل للخلق؟

أنت عندك واحد في الثلث الأخير يناديك، يقول لك: هل لك حاجة؟ فكيف تترك بابه؟ كيف تترك أن تتعلق بالركن الشديد؟ كيف تخاف؟ هذه سورة الإخلاص منهج للتربية كل واحد يربي أولاده المفترض أن تكون سورة الإخلاص من سن ثلاث سنوات إلى سن تسعة سنوات هي المادة الأساسية في الغرس، طيلة الوقت أقول له:

(1) [سورة التوبة: 46]

أنت واحد فقط لواحد، والواحد الذي أنت له واحد كامل الصفات، كل شيء عنده الملك كله ملكه، الأمر كله أمره، لا يمكن أن تلجأ إليه ويخذلك، لكنه حكيم يعطيك هو في الوقت المناسب، وهكذا هذا كله دائر في سورة واحدة، حُق لها أن تكون ثلث القرآن، لكن كلنا نعرف أن سورة الإخلاص ثلث القرآن، أين الجهد في استخراج كنوزها؟

ولهذا تصور هذه السورة العظيمة التي تردد وهي لها هذا الفضل العظيم كم قارئ لها يقرؤها وهو لا يجد في نفسه ولا شعرة من مفهومها؟ يقرؤها وهو خائف لا زال غير مطمئن لفعل الله–عزَّ وجلَّ–! لا زال يشعر أن شكواه لله لا تكفيه. لا زال يشعر أنه لا بد أن يفتش له عن واسطة كبيرة ليخرج من المشكلة، والنبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–يقول: (حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله مرمى) مَن هذا الذي ستكلمه من وراء الله تعالى؟ مَن هذا الذي سيأتيك بمرادك من وراء الله؟ هو الصمد وحده لا شريك له.

فالمقصد أن هذا القرآن إما تقرؤه فيزيدك، وإما تقرؤه فتهمله، ولا يكون عندك أي نوع من الإثارات والاستفهامات، فماذا يحصل؟ تقوم عنه وقد نقص فيك الإيمان وقد نقص فيك التعظيم لله، كان المرغوب منك أن تفتح كتاب الله فيزيد إيمانك، ليس المرغوب منك أن تفتح كتاب الله فتقول:

ماذا أراد الله بهذا مثلًا؟

لماذا ضرب الله هذا المثل؟

لماذا قصّ علينا هذه القصة؟

هذا الكلام يتركه الشيطان في عقلك وأنت تترك الشيطان يقول هذا الكلام في عقلك، وبعد ذلك تهمله تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وانتهينا، لا، ليس بهذه الطريقة بل المسألة تحتاج إلى خطة عملية في كشف مثل هذا.

سأقول كلامًا عامًا الآن في ما هي المباحث الأولية التي نعتني بها في أثناء قراءتنا للقرآن؟ نتكلم عن الخطة العملية، القرآن الآن مباحث وأنا أقرأ على ماذا أركز؟ المفروض على القرآن من أوله لأخره، لكن الآن نحن بهدوء بعد هذه السنين كلها نريد أن نعيد ونبني علاقتنا مع القرآن، نبدأ بالترتيب نتكلم عن أمور نهتم بها، هذه الأمور نرصها كلها مرة واحدة ثم نختار منها أمرين وهي التي ننفذها–إن شاء الله–

القرآن من أوله لأخره ذكر لصفات الله–سبحانه وتعالى–،كيف تنقل لي هذا الخبر؟ تقول: من عند قول الله تعالى {الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[1] أثبت أنه الله وأنه رب وأنه الرحمن الرحيم وأنه مالك يوم الدين، إلى أن تقول لي قال في أخر سورة في القرآن في ترتيب المصحف {رَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ}[2] ما بين دفتي القرآن كله وصف للرحمن، وصف في ذكر أفعاله–سبحانه وتعالى–وأسمائه وصفاته، كل الذي في القرآن في الأصل وصف للرحمن، يكلمك الله عن أسمائه وصفاته وأفعاله–سبحانه وتعالى–، إذًا هذا رأس المواضيع التي يجب أن نهتم بها، وهي صفات الله–عزَّ وجلَّ–، ما الطريقة؟ ليس الآن أنا فقط سأعد فقط المواضيع ثم بعد ذلك نطبق.

ماذا أفعل؟ بعد العناية بأسماء الله–عزَّ وجلَّ–وصفاته نأتي إلى العناية بأمر متكرر في كتاب الله، لأن المكرر أكثر أهمية وأكثر أثرًا.

نأتي إلى تكرار القصص في القرآن هذا أكثر ما تجد مكرر، ما أنواع القصص في القرآن؟ قصص الأنبياء المقصود أنهم قوم صالحين وهناك قوم كافرين، القوم الصالحين: الأنبياء والفتية سواءً كانوا أنبياء أو دون الأنبياء قصص الصالحين كلها، وفي المقابل قصص الكافرين ومن يلحقهم.

على كل حال، إمَّا صالحين وإمَّا فاسقين سواء كان الصالحين: أشخاصًا أو أقوامًا، معروفين أو مجهولين، فتية أو إبراهيم–عليه السلام–هذه كلها اسمها قصص لقوم صالحين إما أحد معروف يعني موسى–عليه السلام–وعيسى–عليه السلام–أو الفتية الذين ذهبوا إلى الكهف ولا يوجد تفصيل عنهم، أو الرجل المؤمن من آل فرعون، كلها تسمى قصص قوم صالحين، هذا الذي كنت أقصده وبعد ذلك نرى ما يلحق المؤمنين ويلحق عكسهم، وفي الجهة الأخرى قصص القوم الكافرين وما يلحقهم، هذه النقطة الثانية وهذه أكثر ما يكرر عليك، هذه النقطة الثانية التي هي القصص.

- النقطة الأولى: نحن قلنا أكثر ما يذكر في كتاب الله ويجب أن تعتني به هو أسماء الله عز وجل وصفاته.
- النقطة الثانية: وهي القصص.

أمام أسماء الله وصفاته ماذا تقول؟

---

(1) [سورة الفاتحة: 2]

(2) [سورة الناس: 3:1]

من المؤكد أنه يجب أن يكون أول مبحث، لأن أول العلم معرفة الله. لماذا أتيت بالقصص بعد الأسماء والصفات؟ لآن القصص تظهر لك آثار أفعاله–سبحانه وتعالى–أنت الآن عرفت الله عندما تعرفه يقال لك: انظر لأحوال حصلت وظهرت فيها صفاته وأفعاله–سبحانه وتعالى–من نصرة لأهل الإيمان، خذلان لأهل الشرك، لطفه، انظر كيف يعامل الكُمّل الرب العظيم؟ انظر ليعقوب–عليه السلام–كيف يعامل ربه، {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}[1]، هذا سبب لهذا السلوك منه، انظر في سورة الأعراف، انظر في سورة الأنبياء، انظر كيف كلما أخبر الله أنهم دعوا، مباشرة يقول: {فَاسْتَجَبْنَا} دليل على معاملة الله.

فلا زلنا ننظر في القصص إلى أحوال يقينًا نعتقد أنها وقعت، تظهر فيها آثار صفاته–سبحانه وتعالى–وصفاته الذاتية أو الفعلية، ونحن دائمًا نحتاج أن نحتذي أي يكون عندنا نموذج ونقتدي به، فهذا القصص كله يعتبر نموذج، أول ما يكثر مالك وتجد نفسك تعلقت بقدرتك ذكِّر نفسك بقارون انتبه من سبأ وجماعة البطر، فتحذّر نفسك أنه أين وصلوا وبعد ذلك قال تعالى عن قارون: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ}[2] ولم ينتصر ولم يجد من ينصره، أنت سيحصل لك ذلك، لو استعملت كذا، دائمًا نحتاج إلى أحد نحتذي به أو نقتدي به.

من الجهة الأخرى إبراهيم–عليه السلام–مع مكانته عند ربه لكن بلاء بعد بلاء واختبار بعد اختبار، وعندما يكون الإيمان عظيمًا ينزل الاختبار هين سهل، لأن هناك نوع من الناس تقول لهم: عندما يزيد الإيمان يعظم البلاء، فيقول: لا أنا لا أريد هذا الإيمان، هم يقولونه بلسان حالهم قبل أن يكون بلسانهم. الجواب: نقول: اسمع عندما يضعف الإيمان تنكسر لك كأس كان مصيبة وقعت عليك، وعندما يقوى الإيمان لو انهد جبل ينزل هيّنًا ليّنًا، فالقصة على قدر الإيمان هذا على قدر ما تصبح أنت مرن تستطيع أن تحتمل على قدر ما يتسع قلبك، ونحن اتفقنا أن الإيمان يؤثر على الصبر يؤثر على الشكر، أكيد كلما زدت إيمانًا كلما زاد صبرك. لكن أنا غضوب، نقول: نعم حتى لو كنت غضوبًا سيزيد حلمك بمقدار كنت لا تستطيعه دون الإيمان، لن تكن حليمًا فائق الحلم، لكن بدون الإيمان كنت ستكون غاية في الغضب، بالإيمان ستكون أقل غضبًا، اتسع حلمك، والذي أصلًا لم يكن غضوبًا وجاءه الإيمان أصبح قلبًا يستطيع أن يحتمل الكل.

(1) [سورة يوسف: 86]

(2) [سورة الأنبياء: 81]

المقصد الآن أننا نعتني بالقصص لآن فيها أثر صفات الله، أفعال الله، ترى فيها قوم آمنوا فرفعهم الله، ترى فيها قوم استعجلوا العذاب يقولون لنبيهم: لو كان هذا حقًا من عند الله، أمطر علينا حجارة من السماء، مثل شخص يمشي في المعصية يقول: لو ربي مطلع علي يخسف بي الأرض! هذا الكلام الذي يأتي به الشيطان، نقول: انظر هذا الكلام الذي يأتي به الشيطان هو نفس الذي أملاه عليهم هناك وقالوا: إذا كان حقًا من عند الله أمطر علينا حجارة من السماء، بدلًا من أن يقولوا: اشرح صدرنا، يسِّر أمرنا، أرنا الحق حقًا، لكن تقول: حجارة من السماء! سيأتيك العقاب، ولو لم يكن الآن. وبعد ذلك تسمع الله–عزَّ وجلَّ–يقول في حق أقوام: ثلاثة ليالٍ، ثلاثة أيام يتمتعون، ثم ماذا يحصل؟ يقع عليهم العذاب، ثلاثة أيام في حق هؤلاء تعني سنة في حق الثاني، شهر في حق الثالث، يعصي وترى متعة في الحياة متعة إلى أجل محدد، في قصة هؤلاء ثلاثة أيام في قصة هؤلاء ثلاثة سنين، في قصة هؤلاء شهر، فالقرآن يقول لك: ثلاثة أيام وبعد ذلك انقل أنت على الواقع، واعلم أنه سيتركهم يتمتعون فلماذا يأتي لك في القصة إن الله–عزَّ وجل–تركهم ثلاثة أيام؟ من أجل أن تفهم أنه لم يعاجلهم مباشرة بالعقاب، ثلاثة أيام هذه الثلاثة أيام قِس عليها زمن ناس كثيرين يعصون الله ويتركهم، وليس معنى هذا رضاه عنهم.

إذًا نحن بعد ما نهتم بأسماء الله وصفاته في القرآن هذا أول مبحث وأهمه، نأتي بعد ذلك ننظر إلى (القصص في القرآن)، قصص القرآن مسألة غاية في الأهمية، يعيبنا أن نعبد الله بحب أنبيائه ثم لا نجد أنفسنا لا نعرف الأنبياء، لو قيل لك: في كم سورة ذُكر موسى في القرآن؟ تقول: كثير، تعرف أن الكثير هذا لا يزيد عن سبعة سور؟ ما هي هذه السور؟ لا بد أن تعدها، وهل لما ذكر في السبعة سور كرر؟ لا لم يكرر الخبر الذي جاء هنا لم يأتِ به هنا، الأمر الذي أخبرنا به هنا لم نخبر به هنا، عندما أقول لك: موسى–عليه السلام–تولَّى إلى الظل وقال {ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}[1] هل سمعتِها في أكثر من سورة؟ لا، بل في موطن واحد فقط، إذًا معنى ذلك ماذا تتصور في القصص؟ هل تتصوَّر أنها متكررة؟ لا، أنت مخطئ ليست متكررة، تُكمِّل بعضها بعضًا وكل مرة تجد القصة في سورة تناسب السورة تمامًا، وتناسب الخطاب الموجود في السورة، –وإن شاء الله–سنجد شواهد يسيرة نصل بها.

إذًا انتهينا من الأسماء والصفات ثم القصص.

(1) [سورة القصص: 24]

ثم تأتي للنقطة الثالثة وهي غاية في الأهمية: الأمثال في القرآن.

لماذا نعتني بالأمثال في القرآن؟

الأسباب كثيرة من أهمها: أن الله–عز وجلَّ–أخبر أن المثال في القرآن وقال: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ }[1]، ففهمك للأمثال التي وردت في القرآن دليل أن عندك علمًا لو فهمتها ستفهم أمرًا عظيمًا، أي أن آية واحدة فيها مثل يمكن أن تكون منهج حياة. مثال: في سورة إبراهيم–عليه السلام–يضرب الله مثل للكلمة الطيبة: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ}[2] هذا المثل خطة صناعة إنسان، خطة تربية أطفال، وهذا المثل قياس للإيمان، لماذا؟ أنت يا مؤمن مثل الشجرة فيك ثلاثة أمور: الشجرة فيها أصل، أين مكانه؟ في الأرض. ما نوعه؟ ثابت، أنت يا مؤمن عندك أصل المفترض أن يكون ثابتًا. بعد ذلك المفترض عندك فرع في السماء، عندك أعمال صاعدة في السماء {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}[3]. بعد ذلك تعرف الثمرة ما يتنزل من الله بعد قبوله لعملك الصالح، ما يتنزل من الله من بركات عليك، ما يتنزل من الله إيمان عليك، ما يتنزل من الله من شرح صدر عليك، ومن توفيق يكون الله سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به. المثل حدَّد لي نقطة القوة، أين قوتك؟ في أصلك الثابت.

المثل الذي بعده {وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ}[4]

الشجرة الطيبة وصفت بثلاث صفات:

- لها أصل.
- لها فرع.
- لها ثمرة.

---

(1) [سورة العنكبوت: 43]

(2) [سورة إبراهيم: 24]

(3) [سورة فاطر: 10]

(4) [سورة إبراهيم: 26]

الخبيثة لها وصف واحد: أنها اجتثت من فوق الأرض، إذًا أنت كن حذرًا لو لم يكن هناك أصل ثابت في الأرض، لا تتكلم عن أعمال صاعدة للسماء ولا تتكلم عن ثمرات. عندما أربِّي ولدي، كل التركيز على تأصيل أصله على تأصيل اعتقاده في قلبه، ثم أرسم له كيف يكون ساقه، وهو ينفذ، أنا دوري في التربية أؤصل الأصل، ثم أفهمه ماذا يعمل وهو يقوم بالعمل.

تصوري هذا المثل الآن لو أُتقن لكانت كُتبت خطط للتربية في البيوت، وكان استطاع الإنسان أن يلاحظ نفسه لماذا أعماله ضعيفة؟ لأن أصله ضعيف، هذه الشجرة في حديث ابن عمر هي النخلة، والنخلة لها جذور في الأرض تصل أحيانًا إلى خمسة عشرة مترًا، أي عمارة من أربعة طوابق! تعرف أن هذه النخلة عندما ترمي جذورها في الأرض وتسحب الماء من كل جهة فتطيب الأرض التي فيها تصبح الأرض حولها ندية، فعندما تصبح ندية هناك أحياء يعيشون تحت على جذورها، قارني النخلة بشجرة مثل شجرة البرسيم، هذه شجرة (البرسيم) في السنة تخرج نتاجًا أحيانًا مرتين، البرسيم الأخضر وتأكل منه البهائم هذا بسرعة يهيج يمكن أن تنتج مرتين في السنة، لكن بعد أربعة سنوات تصبح الأرض التي يزرع فيها البرسيم بور لا تستطيع أن تزرع فيها مرة أخرى، في المقابل أن أرض النخلة الأرض تطيب تطيبها النخلة، الفارق بين النخلة والبرسيم أن النخلة من أجل أن تخرج تحتاج سنتين إلى ثلاث سنوات من أجل أن تصبح فسيلة، في مقابل أن البرسيم في سنة واحدة يمكن أن ينتج مرتين. هذه الصورة التي ضربت مثل من أجل أن تقول لك: يا أيها المؤمن ركز في الأصل القصة ليست في سرعة الإنتاج ولا بسرعة السلوك، القصة في صلاح القلب.

مقصدي أن تتصور كيف أن الأمثال تحمل علمًا عظيمًا، مثل واحد مُثِّل بالشجرة لكنها تحمل علمًا عظيمًا تعطيك تفاصيل كثيرة، الشجرة هذه لا يوجد شيء فيها إلا ينتفع به، وكذلك المؤمن لا يوجد شيء إلا تنتفع به، لا يوجد مؤمن حقيقي الإيمان تجلس معه ولا تحصّل من بركته شيء

- والله ليقولنَّ لك: كلمة طيّبة.
- أو يُثني على الله أمامك.
- أو يحكي لك قصة تعتبر بها.
- أو يذكّرك بالله.

أي أن هناك أشخاص من قوّة إيمانهم فقط جلوسك معهم يشعرك بأنك تزيد إيمانًا بسبب ذلك، فالمؤمن مبارك مثل هذه النخلة التي لا يوجد شيء إلا انتفع بها، كل هذه اعتبارات عظيمة وهي التي تفتح عليَّ باب التفكر.

والسبب الثاني الذي يجعل الأمثال مهمة:

أن أهل الباطل وضعفاء الإيمان يقولون عن الأمثال {مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً}[1] فلا تكن ذاك الشخص الذي ليس في قلبه تعظيمًا لله فيقول–ليس على وجه الاستفهام يريد أن يفهم بل على وجه الاستنكار–: ماذا في هذا المثل من الأسرار التي تقول إنها عظيمة وهي شجرة! نقول هذا من مؤشرات ضعف الإيمان وربما زواله.

ننتقل إلى المبحث الرابع (نعتني بالوصوفات).

ورد في كتاب الله–عزَّ وجلَّ–أوصاف–وهي بحر واسع –:

- **أوصاف لأهل الإيمان، للإيمان وأهله.**
- **أوصاف لأهل الكفر.**

تحت الإيمان:

- **ستجدين أوصافًا للذين اتقوا.**
- **أوصاف للذين أحسنوا.**
- **أوصاف للمخبتين.**

وتحت الكفر:

ترين كذلك أوصاف لهم.

الآن وأنت سائرة في طريقك في القرآن كلما وصف لك وصف قال لكِ: {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[2] في آخر الآية لا بد أن أرجع من البداية، أين هم هؤلاء المحسنين في السياق؟ إذًا الذي يفعل كذا وكذا وكذا اسمه عند الله محسن، ماذا يحصل؟ يحبه الله، {إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ}([3]) من هم هؤلاء المعتدين؟ فارجع إلى الوراء من هم المعتدين؟ الذي يفعل ويفعل ويفعل، من أجل ذلك نحن نقول: تجلس مع القرآن يقول لك: الله يحب المتقين يحب المحسنين، وبعد ذلك تجد فرصة للإحسان ولا تحسن! وتقول أصلًا الناس لا يستحقون! أنت الآن قرأت

(1) [سورة البقرة: 26]
(2) [سورة البقرة: 195]
(3) [سورة البقرة: 190]

{إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} ما بك؟ ألست تحب أن يحبك الله؟ يكفيه أن يتعرض لمحبة الله. واضح لكم كيف يقوم الإنسان عن القرآن ناقص؟ أي تأتي الآية تقول لك: الله يحب منك أن تفعل كذا، ولو فعلت كذا يحبك. سمعت، وتأتيك الفرصة، أنت لا تتصور أن يقول لك في القرآن ولا تأتيك الفرصة، مباشرةً يأتيك الاختبار، هل تحسن أم لا تحسن؟ ستتعرَّض لمحبته أم لا تتعرَّض؟

تحفظ سورة الإنسان وأنت تحفظ يأتيك قوله تعالى: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا}[1] هذه وصوفات أهل الجنة الأبرار، إنهم كانوا في الحياة يحسنون ولا يريدون جزاءً ولا شكورًا، ويحصل موقف مباشرً بعد أن تحفظ: أحد تعطيه وتحسن إليه وتبذل الجهد من أجل أن تُحسن إليه، ثم ، حتى كلمة: شكرًا لم يقلها. وأنت راجع بالسيارة تقول: حتى بخل عليَّ بـ (شكرًا)! طيب الآن ماذا كنا نقرأ؟ {لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا} وما أنساه إلا الله أن يقول لك شكرًا؛ من أجل أن يأتيك الاختبار، كم مرة تقول: والله أنا أحفظ وأتمنى أن أكون من أهل القرآن. إذا كنت من أهل القرآن تعال إلى هذه الآية وانتفع بها.

هذه الوصوفات بالذات أطول مبحث في القرآن، ستجد نفسك تقف عند نصوص تكلِّمك عن أوصاف أهل الإيمان، وهي متعددة: المتَّقين، المحسنين، المخبتين، وكل صفة من هذه لأهلها صفات، وهذا يعتبر أطول مبحث وهذا الذي نجعله دائمًا في الأعمال طويلة الأجل، وكلما مشيت في القرآن ووجدت وصفًا أتقنه لتكن من أهله، لكن نحتاج إلى تدريب من أجل أن نتصوره. الآن هذه وصوفات أهل الإيمان وأهل الكفر نضيف عليها وصوفات الإنسان عمومًا، هذا مبحث أخر داخل الوصوفات، وصوفات الإنسان عمومًا، أي أيّ واحد يريد أن يفهم كيف يعلِّم الناس؟ كيف يدرسهم؟ كيف يعالج مشاكلهم ماذا يفعل؟ يجمع كل وصف وصفه الله–عزَّ وجلَّ–للإنسان في القرآن، مثل قوله تعالى: {خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ}[2] {خُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا}[3] وجزوع ومنوع ووصف الإنسان بأنه {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا}[4] وكفورًا. وأنا إنسان من هؤلاء الناس فيتبين لي لماذا أول ما ينزع الله منِّي نعمة مباشرةً أُصاب باليأس من أن يعيدها الله–عزَّ وجلَّ–لي؟ ومعنى أنِّي يئست أن يعيدها لي أني جمعت بين أمرين: بين يأس وكفر بما مضى؛ لأن العبد لو أخذت منه النعمة اختبارًا وامتحانًا ييأس من

(1) [سورة الإنسان: 9]
(2) [سورة الأنبياء: 37]
(3) [سورة النساء: 28]
(4) [سورة الإسراء: 83]

أن يبدله الله–عزَّ وجلَّ–إياها بخير منها، كأنه كفر بأن الله هو الذي أعطاها، فجمع في وصف هذا بين أمرين: بين أنه يؤوس وأنه كفور، إذًا تعال وابحث ما حالنا وقتما تنزع منَّا النعم؟ القرآن وصف لك.

يأتي أمر غاية في الأهمية المبحث الخامس: وهو وصف الجنة والنار.

وهذا مبحث غاية في الأهمية، لأن في الحديث عن النبي–صلى الله عليه و سلم–قال: ((مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ))[1] فلا بد أن تتصور أهمية شهادتك بأن الجنة حق وأن النار حق، تقولين: موجود في قلبي أن الجنة حق وأن النار حق، لا زلنا نقول إن القرآن سبب لتعميق الاعتقادات، كلَّما زاد سمعك وفهمك لكلام الله كلَّما زاد عمق اعتقادك، وهذه المسألة للأسف مُهْمَلة حتى الكلام عن الجنة والنار لا نجد أنفسنا نقف أمامه من أجل أن نفهمه بعمق، لا بد أن تتصور بماذا وصفت الجنة؟ لماذا؟ لأن شيئًا من وصوفات الجنة أنت تذوقه في الدنيا، فلما تفهم أن هذا ذوق من شيء من نعيم الآخرة، يحصل في قلبك الشوق، والشوق هذا الذي ينقصنا، نحن نمشي مثل الآلة لا يوجد هذا الطموح والشوق الحقيقي، فلا بد أن تشوِّق نفسك بالمعرفة العميقة وليست السطحية.

مثال: شجرة السدر وُصفت أنها من نعيم الجنة قال–سبحانه وتعالى–: {فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ}[2] نحن نحفظ الآية لكن لا نربط بين شجرة السدر التي نعرفها والشجرة المقصودة هناك في الجنة. بماذا وصف السّدر في الآية؟ أنه مخضود. ما معنى (مخضود)؟ سؤال استفهام مهم، وأنا لا أريد إجابة الآن، هل شعرت أنك في حاجة إلى أن تعرف ما وصف شجر السدر؟ ولماذا هذا الوصف الذي وصفت به؟ المقصد من سؤالي أن يتبيّن لنا أن هناك هجر لمعرفة معاني أشياء محفوظة ولا يوجد ربط بينها وبين الواقع، أي هجر مع عدم ربط، كثير هم الحافظون لكن المشكلة الربط والفهم.

على كل حال، القصة ليست مجرد إحباط، القصة هي أن ننتبه ويصبح عندنا شيء من الربط، بعد ذلك ستجد أن أعرابيًا أقبل على النبي–صلى الله عليه وسلم–وسأله عن شجرة السدر: كيف يكون في الجنة شجرة

(1) "رواه البخاري" (كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قَوْلُهُ {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ...}/ 3435).

(2) [سورة الواقعة: 28]

تؤذي صاحبها–لأن فيها شوك–؟ فرد عليه–النبي صلى الله عليه وسلم–بالآية، وأنها منزوعة الأشواك، فانظر كيف وعى الأعرابي لمَّا سمع في نعيم الجنة أن هناك شجرة سدر وهو يعرف أن شجرة السدر مملوءة بها الشوارع، لكن الجنة مختلفة.

الشاهد من كلام الأعرابي أن سؤال استفهام أُثير في ذهنه وفكَّر فيه وسأل النبي–صلى الله عليه وسلم–المشكلة فيمن يقرأ ولا يخرج معه سؤال استفهام. نكتفي بالخمس مباحث هذه وسنناقش المبحث الأول والثاني ونكتب عليهما خطة قصيرة المدى.

موضوعنا الاستعداد لرمضان بالإيمان، والإيمان له أسباب، ونحن نريد أن يزيد قبل أن يأتي رمضان هذا هو الاستعداد، وإجمالًا أسباب زيادة الإيمان: تعلُّم العلم النافع ثم التعبد بعبادة التفكر والأمر الثالث: الأعمال الصالحة، واتفقنا أن هذه كلها مبنية على بعضها ابدأ بالعلم النافع ثم انتقل لما بعدها، ورأس العلم النافع العلم بالقرآن، الآن كيف ستنظر للقرآن؟ يجب أن يكون في قلبك اعتقادات، يجب أن تعتقد أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، يجب وأن تعتقد أن هذا القرآن شفاء لما في صدرك، ويجب أن تعتقد أنه كذا وكذا إلى أخر ما ذكرنا.

كيف أتعامل مع القرآن؟

يمكن التعامل مع القرآن على أنه سور، ويمكن التعامل معه كموضوع.

ما الذي يسبب زيادة الإيمان؟

العلم النافع أعظم أسبابه، مصدر العلم النافع: الكتاب والسنَّة، هذا العلم النافع رأسه القرآن فيجب أن تتكون عندك علاقة جيدة مع القرآن. التلاوة طريق ووسيلة، لكن الغاية ما وراء التلاوة.

سأبدأ من أول شهر ستة مثلًا ختمة جديدة، (الخطة التفصيلية) المفترض كأني بدأت المصحف من أوله، سأنظر للقرآن نظرتين معًا: سأنظر له على أنه سور كما هو مقسَّم، وسأنظر له على أساس أنه مواضيع، قبل قليل كان النقاش حول نظرتي للقران على أنه مواضيع، فقلت: وأنا اقرأ المفترض أن ألاحظ وأنا أقرأ أسماء الله وصفاته وأفعاله، ألاحظ القصص القرآني، الأمثال القرآنية، ألاحظ الصفات:

- سواء صفات أهل الإيمان.

- أو صفات أهل الكفر.
- أو صفات الإنسان عمومًا.

ألاحظ أوصاف الجنة والنار، هذا وأنا أنظر للقرآن على أساس المواضيع، أيضًا سأنظر للقرآن على أنه سور كما هو مرتب، فماذا سألاحظ؟ سألاحظ موضوع السورة لأن كل سورة في القرآن وحدة موضوعية واحدة تعالج أمرًا مهما.

سأضرب مثالًا: انظري لسورة الأعراف: عندما نريد أن نلاحظ موضوع سورة ضروري جدًا أن نعتني ببداية السورة وبخاتمتها، انظري أول سورة الأعراف ستجدين أولها حروف مقطعَّة وغالبًا ما تأتي الحروف المقطعة بل يكاد يكون دائمًا إلا وتأتي في السورة التي ابتدأت بالحروف المقطَّعة ذكر للثناء على كتاب الله، السورة مباشرة بدأت تتكلم عن الكتاب، ماذا حصل له؟ أُنزل إليك، ما المطلوب منك تجاه هذا الكتاب؟ ألَّا يكون في صدرك حرج، ماذا يمكن أن يكون في صدر النبي–صلى الله عليه وسلم–وفي صدر من يصلح للخطاب من حرج في القلب؟ ظهرت علامة استفهام، سؤال مهم: ما هو هذا الحرج الذي يمكن أن يكون؟ سنسير في الآيات، لن أجيب عن الأسئلة أنا سأتكلم عن طريقة نتبعها وأنا بدأت بطريقة السور ولن أتبعها، سأتبع طريقة المواضيع لا السور، فقط أشير إليها.

ورد في أول السورة كلام عن قصة آدم، وذكر في القصة موقف الشيطان، لو نظرتِ للقصة ستجدين أنه ما صوّر لنا في سورة الأعراف موقف آدم بل الذي ذُكر بالتفصيل هو موقف الشيطان، ما الذي أخرج الشيطان؟ أنه وقع منه التكبر. لننتقل وسنجد في هذه السورة أيضًا مثل، انظر آية (175) قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}[1]

ورد هذا المثل بعدما ذُكرت قصة آدم والنقاش الأكبر على إبليس وتكبره، ستجدين مثل الذي آتيناه آياتنا، فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ما السبب في فعله؟ أنه أخلد إلى الأرض واتَّبع هواه، أي أنه بداية وصف بالعلم قال تعالى: {آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا} لكنه انسلخ منها نتيجة اتباعه للهوى، ثم اتَّبعه الشيطان! كأن الشيطان أصبح سنده ليس هو الذي يتابع الشيطان.

(1) [سورة الأعراف: 175]

- في أول القصة يقال لك: إبليس تكبَّر واتَّبع هواه وقع منه التكبر.
- ثم تنتقل في النهاية إلى مثل يقال لك: عالم آتاه الله الآيات، ومنزلته من العلم عالية، لكنه انسلخ لأنه اتبع هواه وأخلد إلى الأرض.
- في الوسط أتت قصة موسى، لكن هنا في قصة موسى ذُكر السامريّ بالتفصيل.

والسامريّ لم يُذكر في قصة موسى إلا في موطنين فقط ذكر في سورتي طه والأعراف، في الأعراف ذكر بالتفصيل. الآن ذكر لك إبليس وتكبره، وذكر لك مثلًا عن رجل عالم آتاه الله العلم وانسلخ بسبب متابعته للهوى، وفي الوسط ذكر لك قصة موسى والسامريّ بالتفصيل، إلى آخر آية في السورة ماذا ذكر؟ قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ}[1]

- وفي الأول قيل لك: إن إبليس استكبر.
- ثم قيل لك: إن عالم اتبع هواه.
- ثم في الوسط قبل ذلك قيل لك: كيف تابع السامريّ الهوى.

انظر للنصوص من قبل: بدأت السورة بالكلام عن القرآن، انظر للآيات قبل، انظر آية (200) الكلام حول نزغ الشيطان وبعد ذلك: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ}[2] يحصل النزغ ثم يتذكروا لكن حولهم قوم يمكن أن يمدونهم في الغيّ إلى أن تصل إلى (204) {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ}[3] إذًا أول السورة عندما ذكر فضل القرآن يجب أن لا يكون في قلبك حرج منه وفي الأخير قبل أن يوصيك بالاستماع أمرك بالاستعاذة ثم طلب منك الإنصات وفي الأخير وصف لك الكُمّل من الخلق كيف أنهم لا يستكبرون.

أكيد أن هناك علاقة بين:

- القرآن
- وبين مرض الهوى
- والاستكبار
- والشيطان.

(1) [سورة الأعراف: 206]
(2) [سورة الأعراف: 201]
(3) [سورة الأعراف: 204]

عندما تقرئين جيدًا السورة بالتفصيل ستجدين أن السورة تكلمت عن مرض الهوى وبالذات الاستكبار ومتابعة (هوى النفس)، الهوى مرض عام والاستكبار أحد مظاهر الهوى، إذا أردت أن تعرف الاستكبار تقول: يتبع هواه، إذا أردت أن تتكلم عن الاستكبار تقول: الذي يستكبر يرى الحق أمامه ويتركه ويتبع هواه.

لو ركزنا جيدًا مع أننا الآن مررنا في هذه الدقائق سريعًا، سنجد في أول السورة ذم لإبليس لأنه استكبر وفي آخر السورة نجد مدح للملائكة لأنهم لا يستكبرون وفي الوسط تجدين كلامًا عمن اتبع هواه سواء كان السامريّ أو كان هذا العالم، فتفهم أن هذه السورة ستصور لك حال أهل الهوى وبالذات القوم الذين أصيبوا بالاستكبار عن الحق والقوم الذين طمعوا في الدنيا وبسبب طمعهم بالدنيا وتعلقهم بها استكبروا عن الحق مع معرفته.

السامريّ يقال إنه عابد من بني إسرائيل ثم يأتي {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا} ولا زال عالمًا، والمعلوم أن إبليس يعلم عن ربه فكأنه يقال لك: لا تتصور أن علمًا يدخل إلى قلبك يكفيك، بل لا بد أن يكون مع هذا العلم ذُلٌّ وانكسار، فليس كل مَن ملك العلم يستطيع أن يعالج قلبه، القلب مملوء بالأهواء، فلا بد أن يكون عندك انكسار وذُلٌّ لتعالج الهوى، كم من حامل للعلم كان علمه سبب لكبره (وقوعه في المرض والهوى).

المقصد باختصار شديد: تريد أن تعالج هواك وبالذات الاستكبار؟

- اعتكف على سورة الأعراف
- واقرأ وكرر وزد
- ولا تنسَ القصتين الاتي أتت فيها
- لا تنسَ المثل.
- ثم بعد ذلك كله افهم ما معنى (حرج من العلم)؟

ما هو الحرج؟

يجد الإنسان في نفسه حرجًا مما يعلم، يجد في نفسه ضيق من العلم والانتفاع به والقيام به، مثلًا: أنت تعرف أن الناس ميزانهم عند الله ليس كميزانهم عند الخلق ثم تدخل على أحد ضعيف في نظر الخلق، وأنت من أول نظرة إليه تشعر أنك أفضل منه! هذه مصيبة عظيمة تسرع إلينا، وعندك نصوص وآيات كثيرة تقول لك:

- ذرة من كبر لا تدخل الجنة.

- والميزان عند الله ليس كالميزان عند الناس.
- الفقراء يسبقون إلى الجنة.

عندك كل هذه النصوص وأنت في قلبك هذا المرض فتتحرج ويضيق بك المقام أن تشعر أن يكون هذا أفضل منك! لا تقبله وتقوم بعمل قائمة: أنا عندي علم وهو لا، أنا بنيت مسجدًا وهو لا، أعمل لنفسي قائمة لأخرج من الحرج تشعرني أنني لست أقل منه، فأُعلِّل الهوى والمرض! المسالة صعبة جدًا وأنا اخترت سورة الأعراف كمثال لأنها عجيبة في معالجة هذا المرض لمن فهم الخطاب، لمن يصلح له الخطاب.

هذا القرآن يعالج الوجدان وقلبك مكان للأمراض، احذر: العلم وحده لا يكفي لا بد أن يدخل العلم على أرض ذليلة، على أرض منكسرة، لا تكون أنت مصابًا بالهوى فتستخدم العلم لهواك ونحن نفعل ذلك طوال الوقت ولا نشعر. سأضرب مثالًا اجتماعيًا: عندي ضيوف وكتبت قائمة للزوج ليأتي بها، نظر لها فلم تعجبه فقلت له: قال رسول الله–صلَّى الله عليه وسلَّم–: ((وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))[1] الدليل في مكانه، الأسبوع القادم هو عنده ضيوف وكتب لي قائمة من الأشياء يريد أن أطبخها فأقول:قال تعالى: {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ}[2] وكلا الدليلين صحيح لكن أنا استعملهما استعمالًا نفعيًا على هواي! وعُد ما نفعله عندما يكون هناك موضوع ولا أريد أن يعرفه أحد أقول: ((مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَيَعْنِيهِ))[3]

وإن أردت أن أعرف شيء أقول: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) وهكذا وهكذا ممارسات، والمشكلة أن من هو أكثر فهمًا وعلمًا وانطبق الهوى على قلبه، هو أكثر مصيبة في هذا الأمر؛ لأن عنده أدلة كثيرة ويفهم أين يستدل بهذا وأين يستدل بهذا، فيستدل بأدلة كثيرة لكن كلها على النفعية والهوى.

وتصور أن هذه صورة الانسلاخ من الدين، {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} يقول أهل العلم: انسلاخه من معاني خروجه من التقوى، يخرج من التقوى مع بقاء المعلومات في عقله، فيستخدم المعلومات لهواه، والحل: التقوى، سورة الأعراف تعالج الهوى، لو درست سورة الأعراف كما ينبغي، عندما ترى نفسك تزيغ للهوى وأنت عندك علم فتقرأ:{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} إلى أن تصل {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ

(1) "صحيح البخاري" (كتاب الأدب/ باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره/ 6018)، "صحيح مسلم" (كتاب الإيمان / باب الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلاَّ مِنَ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الإِيمَانِ / 182).

(2) [سورة الإسراء: 27]

(3) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }[1] المقصد هذا الذي تفهمه من السورة تأتي به عندما يعمق فهمه عندك وتذكِّر نفسك كل مرة تريد أن تستشهد استشهادًا نفعيًا متابعًا فيه لهواك بالدليل، المهم أنت أنظر إلى قلبك. ومن أجل ذلك نقول: قاعدة الدين التقوى، كم مرة مُدحت التقوى في كتاب الله؟

بل كما ذكرنا سابقًا لما قلنا عن سورة الليل إنها سورة عظيمة وصفت الذي ييسر لليسرى: بثلاث أوصاف مختصرة، انظر لنفسك في الثلاثة وصوفات المختصرة، {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}[2] ولتفهمها أفهم عكسها، ما وصفه؟ {وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى}[3]، شخص يتقي وشخص يستغني، انتبه تأتي لحظات كثيرة يقع منا استغناء عن الله ونحن لا نشعر، لتكون من أهل اليسرى إيت بثلاثة صفات، ماذا تفعل؟

انظر للتقوى ومكانها وعظيم آثرها كيف تسبب التيسير لليسرى، لو فهمت التقوى جيدًا ستجدها تشمل كل الحياة.

ردًا على إحدى الطالبات: طبعًا نتيجة كلامنا عن الكبر وفلانًا أحسن مني أو أنا أحسن منه، أحيانًا يحدث مع أولادنا، أن ولدي خامل وعنده طلاب في الفصل وحتى أجعله أفضل أقول له: إن فلانًا ليس أفضل منك، هذه الجملة نحن اعتدناها زمنًا طويلًا، وتكلمنا بها بسهولة ولم نشعر بمردودها على المدى البعيد ماذا يكون، هذه المسألة ليس لها علاقة بالمقاصد، أنا لا أقصد أن يتكبر، لكن مردودها أن يتكبر، وأنت تعال لأي أحد وقل له: فلان ليس أحسن منك. أي أنت أحسن! ما الذي سيقع في قلبه؟ تعال لفتاة وصديقتها وقل: فلانة ليست أحلى منك. ستشعر أنها أحلى، سيسبب لها النشوة في القلب (مشاعر) هذه هي البذرة التي ألقيها، وتصوري هذه الجملة تقال في السنة مثلًا خمسين مرة ماذا سيخرج، ثم خمسين مرة في توقيت أرضه خصبة وفارغة وأنا ألقيها وكل فترة أقول: فلانة ليست أحسن منكِ، لا توجد في الفصل من هي أحسن منكِ! وغابت

(1) [سورة الأعراف: 176]
(2) [سورة الليل: 5،6]
(3) [سورة الليل: 8،9]

عبادة الاستعانة التي هذا مكانها، فجاء بدلًا منها بدائل ضعيفة، وكان يجب عليَّ أنا أكلمها عن {إياك نعبد وإياك نستعين}.

على كل حال، القصد صحيح لكن الطريق فاسد، وهذا الطريق الفاسد هو الذي أفسد علينا كثير من الناجحين، عندنا كثير من الأطباء والمهندسين والمعلمين لكن إن اجتمعت ببعضهم تشعر أنهم يحتقرونك طوال الوقت، طبعًا لا أقصد الكل أنا أقصد البعض، لماذا؟ هل يتصور أن شهادة الدنيا التي رفعته هنا، سترفعه عند الله؟ ما المشكلة؟ أنه تربَّى على أن الذي يرفعه في الدنيا أن يكون أستاذ دكتور فلان، ويحتقر من هم دون ذلك، تربى على ذلك وهو يحصد ثمن التربية. على كل حال الكِبر هذا مرض يصعب الكلام عنه وتفصيله، نسأل الله بمنِّه وكرمه أن يزيدنا إيمانًا وأن يجعل هذا الإيمان سببًا لدفع هذه الأمراض. لأننا كلَّما زدنا احتكاكًا بالمجتمع كلَّما ظهرت أمراضنا، مثل شخص جالس في مكانه لا يشعر بألم قدمه لكن عندما يمشي يشعر بآلام قدمه وهكذا، والمنعزل عن المجتمع يظن في نفسه أنه خير، فإن احتك بالمجتمع وجد نفسه يدخل على هذا ويمنّ عليه، ويجد نفسه أحسن من هذا، ويدخل على هذا فيحسده، ولم يكن يتصوَّر أنه حاسد ولا متكبر إلى أخر ما نظنه في أنفسنا.

مرّ معنا أن العلم كلَّما زاد كلَّما شعر الإنسان بمرضه، وهذا يشهد له المثل المضروب في سورة الرعد، قال تعالى: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ }[1].

إذًا بدأت السورة بالكلام عن إبليس الذي تكبر وانتهت السورة بالملائكة فكأنه يقال لك: احذر أن تكون مثل ذاك وكن مثل هذا، ولا تعلل كل تعبك على إبليس فالذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها أتبعه الشيطان، هو أولًا انسلخ ثم تبعه الشيطان، ليس كل ثقلك تضعه أن إبليس فعل وفعل، فأنت أيضًا يمكن أن تكون مريضًا كما وقع من السامريّ.

(1) [سورة الرعد: 17]

هذا نظر سريع لمواضيع السور وأنا اقرأ في السورة المفترض أن أشعر، وأكون دقيقة جدًا في الشعور بالانتقالات كم مرة قرأت سورة أولها يتكلم عن الأنبياء نوح ثم عاد أو بالعكس، وأنتقل من نوح إلى عاد ولا أشعر أنها انتقالة! وعلى ذلك سوف أفتح سورة الأعراف مثلًا فألاحظ البداية عمومًا والنهاية وألاحظ أمر مهم أيضًا كم قصة ذكرت؟

هل ذكرت أمثلة في هذه السورة أم لم يذكر؟

هل فيها وصوفات أم لا يوجد؟

طبقت المواضيع على السور، أي اسم تكرر في هذه السورة؟

وهل تكرر اسم أو عدة أسماء مختلفة؟

سأضرب مثالين الآن:

سأبدأ بالشعراء لأنها الأسهل والأيسر، وبعد ذلك أنتقل للحج. لنذهب إلى سورة الشعراء، انظر الآية التاسعة بماذا خُتمت؟ خُتمت بـ (العزيز الرحيم) ثم أتى بعد ذلك قصة موسى، سنلاحظ أمرين الآن سنلاحظ بما ختمت الآيات وسنلاحظ ترتيب القصص.

لاحظي أن موسى ذكر أولًا، بماذا ختمت كل قصة موسى؟ آية (68) أجد أنها أيضًا ختمت بالعزيز الرحيم، وقبل ما يذكر موسى ختمت آية (9) بالعزيز الرحيم وكذلك قصة موسى، ثم أتت قصة إبراهيم عليه السلام؟ هذا لا يوافق الترتيب التاريخي وهل يمكن أن يكون الأمر كما اتفق؟ أكيد الجواب: لا.

ولاحظ في هذه المرحلة وأنا والقرآن ما عندي إجابات بعد، وهذا الذي يصعب علينا، وهذه المسألة تحتاج إلى الصبر، العبد عندما لا يكون لديه صبر لا يعطي نفسه فرصة للسؤال، يجب عليك أولًا السؤال، الإجابة قد لا أجدها اليوم، يمكن أن أجدها بعد ثلاث سنوات أو عشر سنوات. أتعلمين أنك كلما تسألين تتفكرين وتعبدين الله؟! هل تعلم أن هذا نوع من العبادة تؤجر عليه؛ لأن قلبك مشغول بمعرفة معاني كلام الله. لكن القوم اعتادوا على الخطوط سريعة والوجبات السريعة حتى الناس أصبحوا يبنون بناياتهم سريعة! فلم يعد في النفوس صبر لتحتمل العلم، لكن قد يبقى أهل العلم ستة عشر سنة يبحثون عن مسائل، فلا بد من أن يحدث نوع من الصبر.

على كل حال، انتهت قصة إبراهيم عليه السلام، نلاحظ آية (104) قصة إبراهيم ختمت بـ (العزيز الرحيم) إلى نهاية سورة القصص تتتابع وتختم كل قصة بـ (العزيز الرحيم)، ملاحظة مهمة إذًا تكرر في سورة الشعراء الاسمين العزيز الرحيم بعد قصص الأنبياء صار عندي سؤالين:

السؤال الأول:

ترتيب القصص لماذا أتى بهذه الصورة خصوصًا بين موسى وإبراهيم في هذا الموطن بالذات حصل اختلاف في الترتيب؟

والسؤال الثاني:

لماذا بعد كل قصة يختم بـ (العزيز الرحيم)؟

هذا أثر الملاحظة أنه يتبين لك في سورة الشعراء كذا وكذا وكذا.

- هناك أسئلة سهل الإجابة عليها ستجدين من يجيبك عليها في التفسير مباشرة.
- وهناك أسئلة ستحتاج مزيد من البحث.

لكن انتبه يجب أن تحدث علاقة بيني وبين القرآن لا تنتقلي إلى التفسير مباشرة وتتركِ القرآن، أولًا تأملي، كرّري، لاحظي كتاب الله بعد ذلك انتقلي إلى التفسير.

في النهاية ستجد أن سورة الشعراء كرر فيها تسع مرات اسم (العزيز الرحيم)، لماذا تكرر؟ ولماذا أتى هذا الترتيب؟

ننتقل إلى سورة الحج، نبدأ بآية (39) في سورة الحج، الأفضل من آية (58) وإلا سيطول بنا المقام، انظر الآية (58) انتهت بقوله تعالى:

{وإن الله لهو خير الرازقين (58)} {وإن الله لعليم حليم (59)} {إن الله لعفو غفور(60)} {وأن الله سميع بصير(61)} {وأن الله هو العلي الكبير(62)} {إن الله لطيف خبير(63)} {وإن الله لهو الغني الحميد(64)} {إن الله بالناس لرؤوف رحيم(65)} أكيد أن لها صلة ببعض!! تأتي في سياق واحد متتابعة أكيد لها صلة ببعض.

أي أنك تجد في كتاب الله:

- إما سورة يتكرر فيها اسم أو اسمين.
- أو يأتي في سياق واحد مجموعة من الأسماء.

كل هذه تحتاج إلى إجابات، إلى ملاحظة، تأتي في سورة مثل سورة طه تجد اسم (الرحمن) يتكرر 3 مرات، وفي الشعراء تكرر اسم (العزيز الرحيم) تسع مرات وفي الحج تجد صفحة بالكامل يوصف الله فيها بوصوفات. كل هذا يحتاج منَّا ملاحظات، أكيد أن هذا السياق له علاقة ببعضه مع أنه في الظاهر لا يظهر لك من أول قراءة لكن لو تأملت جيدًا ستظهر لك صلة، ثم سننتقل إلى التفسير. أي أنك لو قرأت هذه الصفحة في الحج دون أن يكون تركيزك في القرآن، أصلًا لن تظهر لك علامات استفهام ستقرأها هكذا وانتهى الموضوع، لذلك هناك مرحلة اسمها: (أنا والقرآن) فقط قبل أن تفزعي للتفسير، ثم نتعلم كيف نستعمل التفسير، مشكلتنا أن مرحلة (أنا والقرآن) ليست موجودة كما ينبغي، لا توجد ملاحظة أن السياقات قد تطول ثم يعود السياق مرة أخرى للموضوع الأول، ينفصل عقلنا عن المقصود، إذًا أول مرحلة لا بد أن نشترك فيها أن يكون لي علاقة بيني وبين القران مباشرة علاقة بحث وتنقيب.

من هنا لغد أريد منك أن تقفي أمام سورة القصص فيها قصة موسى–عليه السلام–، أريد أن تلاحظي عرضها في سورة القصص لاحظي انتقالاتها ولاحظي الخطابات فيها بحيث تكون نموذجًا لنا لملاحظة القصص.

(اللقاء الثالث)

ألقي يوم الاثنين 28/ 5/ 1432هـ في الجمعية الفيصلية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين...ثم أمَّا بعد:

فإنه على قدر رعايتك لهذا الشهر–وكل من أحب شيئًا وتعلَّق به استعد له واستبشر بقدومه–فلا بد أن يكون هناك استعداد حقيقي، ولا يُستعد لرمضان إلا بالإيمان، وللإيمان عوامل لزيادته وأيضًا هناك عوامل لنقصانه، لكن نحن في هذا اللقاء فقط تكلَّمنا عن عوامل الزيادة، لكن لا بد أن نشير باختصار لعوامل النقصان للإيمان في هذا اللقاء وبين عوامل زيادة الإيمان وعوامل نقصان الإيمان هناك عمل مهم لا بد أن نقوم به ونكون في غاية الدقة وهو المحافظة على ما حصّلنا من إيمان.

أي نستعد لرمضان بالإيمان وهو يزيد وينقص وهناك أسباب لزيادة الإيمان وهناك أسباب لنقصان الإيمان لئلا تنتقل من أسباب الزيادة إلى أسباب النقصان أو تتعرض للنقصان يجب عليك المحافظة على الإيمان لا تضيعوا إيمانكم معناه أن الإيمان يمكن أن يضيع بل تنبَّه جيدًا إنك أنت أول ما تحصِّل ذرة من إيمان، عدوك ينهض. سأضرب لك مثالًا من أجل أن تتصور: نذهب إلى العمرة في هذه الأيام، نطوف ونسعى، والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، غالبًا كثير من الناس يشتكون أنه بعد أن تنتهي العمرة يجدون أنفسهم دخلوا بابًا من أبواب الذنوب ما كانت تخطر على خاطرهم أن يدخلوها بعد العمرة. مثلًا: يصبح الشخص عصبيًا وبعدما يطوف ويسعى ثم يجلس في مكان يتخاصم مع الناس حوله في بيت الله! أو ترجع إلى بيتها وتنام عن الصلاة من التعب! بماذا تفسر هذه الأحداث؟ أن العدو بمجرد أن رأى زيادة الإيمان وأسباب الغفران هجم على قلبك من أجل أن تقع فيما يضيّع الإيمان فكلما قمت بعمل صالح صارت عندك مسؤولية عظيمة وهي المحافظة على الإيمان الذي أتاك من وراء العمل الصالح.

العمل الصالح يكون ناتج أسباب زيادة الإيمان، واتفقنا أنها مجملًا ثلاثة أسباب:

1. نتعلم العلم النافع.
2. ونتدبر.
3. ثم نعمل العمل الصالح.

عمل صالح مبني على عبد تعلَّم وتفكَّر وتدبر، أكيد سيكون عمل قوي يزيد إيمانه، لكن العدو لا يتركك، وقتما يراك ازددت إيمانًا ولو بمقدار ذرة؛ يهيّجك لفعل يكون سببًا لنقص الإيمان، ولاحظ نفسك بعد الطاعة. فأنا الآن جمعت قلبي وبذلت جهدي أن أجمع قلبي في صلاة الظهر، ثم في صلاة العصر يقول لك الشيطان: يكفيك الظهر أنك أتقنته وبذلت جهدك وكنت جيّد فيه فلا تتعب نفسك في العصر، فيوسوس لك بمشاعر تزهدك في الإحسان بالعمل الصالح، فعدوك يقطع عليك الطريق، ثم بالتدريج تتحول من أسباب زيادة الإيمان إلى أسباب لنقص الإيمان!

ما المرحلة التي في الوسط؟

الذي يجعلني أتحول من تحصيل أسباب زيادة الإيمان إلى تحصيل أسباب نقص الإيمان هو أني وقتما قمت بعمل المفترض أن يكون سببًا لزيادة الإيمان بعد أن انتهيت منه لم أبذل جهدي في حفظ إيماني وهذا أمر من الله–عزَّ وجلَّ–أن أحفظ إيماني، وسيمر علينا إن شاء الله في الأمثال التي سنختارها في القراءة، ويأتينا أمره–سبحانه وتعالى–بأن نحفظ إيماننا.

ماذا يعني أن نحفظ إيماننا؟

أي كل عمل صالح قمت به لن يتركك الشيطان تتمتع بأثره، ما أثر العمل الصالح في الدنيا؟ زيادة الإيمان والشيطان لن يتركك تتمتع بأثره وأثره زيادة الإيمان.

ما المطلوب منا؟

المطلوب منا أن نركز بعد أن نقوم بالأعمال الصالحة على المحافظة على الإيمان.

في هذه الدورة لن نتكلم عن أسباب نقص الإيمان، سنتكلم فقط عن أسباب زيادة الإيمان بكلام مجمل وقد مضى معنا، وفي الهامش نتكلم عن كيف أحفظ إيماني؟ قمت بعمل صالح كيف أحفظه؟ أهم شيء في حفظ الإيمان: الذل لله والتوسل له أن يقبل العمل الصالح، كم أغفلنا الشيطان عن التذلل للرحمن أن يقبل منا ضعيف العمل الذي نقوم به. نحن نقوم بعمل ضعيف، وهذا العمل الضعيف لن ينفعنا إلا إذا قبله الله، ولك أن تتصور إبراهيم–عليه السلام–يبني الكعبة مأمورًا من الله، ويبذل الجهد هو وابنه فقط، ولا آلات ولا شيء، يأتون بالصخور من الجبال، ويتحركون مسافة طويلة من أجل الإتيان بصخرة مناسبة، ثم بعد كل هذا الجهد،

يتوسَّلان لربهما أن يقبله، لكنهم عملوا أمرا أمروا به، وأحسنوا فيه، لماذا يتوسلون أن يقبل منهم؟ لأن هذه الحقيقية لأنه ليس كل من عمل قبُل، فمن التوفيق للمحافظة على الإيمان أن يقع في قلبك العناية بسؤال الله القبول. و(تقبل الله) هذه التي نقولها بعد المواسم كلمة أتت في مكانها لكنها تحتاج إلى قلب، فنحن عندما نرى بعضنا في العيد نقول لبعض: تقبل الله، وهذه ليست كلمة تهنئة، هذه كلمة يجب أن يكون لها عمق في المشاعر أنني حقا ذليلة أمد الله في عمري وأبلغني الشهر وعشتُ أيامه ولياليه ووفقت أن أصومه في مكان عظيم، وبعد هذا كله هل لي من هذا الجهد نصيب أم أنني أخذت نصيبي هنا ولم يُقبل عملي؟ هل دخل إليَّ الرياء وأنا لا أشعر، لو دخل الرياء ماذا أفعل؟ كل هذه التفاصيل التي أنا في غفلة عنها يجبرها كلها كلمة واحدة وهي أن تكون حريصًا على أن تتوسل إلى الله أن يقبل عملك ومن ثم يبقى إيمانك.

إذًا من أجل أن نحافظ على إيماننا الذي أتانا من العمل الصالح لا بد أن نطلب من الله أن يقبلنا، وهنا لا يصلح فقط اللسان، لا بد من وجدان ذليل، لا بد من مشاعر أن النعم التي أعيشها من أعظمها أني وفقت للعمل الصالح أن يشرح صدرك للعمل الصالح، وإلا فالناس في ظلمة ومن يعرف ربه في نور والناس في ضياع والذي استقام في سيره إلى ربه هو الذي نجا، لكن من نجّاك أولًا وآخرًا؟ ما نجاك إلا الله ما شرح صدرك للإيمان إلا الله، فوجب أن يبقى قلبك ذليلًا له–سبحانه وتعالى–وهو يستحق أن تكون بين يديه ذليلًا، تطلب منه القبول.

إذًا هذه أول نقطة: كيف نحافظ على إيماننا؟

أول ما نقوم بالأعمال الصالحة نتوسل إليه–سبحانه وتعالى–أن يقبلنا، وهذا الأمر ليس فقط في رمضان، نحن نتكلم من هنا إلى رمضان نحن نقوم ونصوم ونتلوا القرآن ونقوم بأعمال صالحة الآن، ونتدبر ونأتي إلى مجالس الذكر كل هذا لا بد أن يكون في وسطه مشاعر توسل اقبلني يا رب. يأتي من يقول: أكيد أنا على خير، في الصباح أذهب مدرسة تحفيظ وأحفظ، في المساء أذهب إلى الدروس وأتعلم، وفي الليل أقوم الليل، من ذا الذي يسير على هذا السير ولا يفلح؟! نقول: هذا كله لا شيء لو لم يقبله الله ولا ينفعك إلا إذا قبله الله. إذًا كيف نحافظ على إيماننا؟ بعدما قمنا بأعمال صالحة مثل خروجك من بيتك ووصولك إلى هنا، حضورك في مجلس تحيط به الملائكة ويذكرك الله فيمن عنده، هذه من الأعمال الصالحة، لا بد من الذل للقبول، لا بد أن تشعر أنك محتاج بعد أن قمت بالعمل أن يقبلك الله، هذه الخطوة الأولى من أجل أن نحافظ على إيماننا.

نأتي للخطوة الثانية:

من أجل المحافظة على الإيمان لا بد من محاربة مرض عظيم يصاب به الخلق وهو مرض العُجب، العُجب من مهلكات الأعمال. كيف نحفظ إيماننا؟ ندفع عن قلوبنا خواطر الإعجاب بالعمل، وخواطر الإعجاب بالعمل يمكن أن تتحول إلى كلام، يمكن أن تتحول إلى تفاخر، ويمكن أن تكون مجرد مشاعر، فالعُجب قد يكون كلامًا، أي أنا معجب بعملي وأتكلم.

مثال: امرأة وفقها الله–عزَّ وجلَّ–لحفظ سورة من طوال السور، فطيلة الوقت تثني على نفسها، وكيف أنها فعلت هذا الفعل في مدة زمنية مع انشغالها بأولادها، وأي أحد يقول لها لا أستطيع أن أحفظ تقول له: انظر إليَّ كيف أنني فعلت وفعلت وفعلت! هذا عُجب منطوق، وصل من قوته في القلب أن نطق به، أنتم ستقولون لي: يمكن لم تقصد؟ نقول: نعم صح هناك ناس يقولون مثل هذا الكلام جزمًا يقينًا ما يكون قصدهم، والله–عزَّ وجلَّ–يحاسب العبد على ما في قلبه، ولا نقول إن كل من يقول هذا الكلام شرط أن يكون معجبًا بعمله، لكن أنت حافظ على إيمانك، ولا تعرض نفسك لكلام يمكن مع الأيام أن يسبّب لك العجب في نفسك وأنت لا تشعر. الكلام على ما قام في القلب، العجب مرض يبدأ من عند القلب وليس من عند اللسان، أحيانًا جارتي أريد أن أشجعها فأقول كلمة من دقائق. لكن الصحيح ألا تقولها. لكن أنا قصدي التشجيع وليس قصدي العجب، نقول: هذا الكلام صحيح، لكن بقدر ما تستطيع لا تعرض نفسك لأن يضيع إيمانك، نقول لك: هذا خطر. لكننا نريد أن نشجع الناس، ماذا نفعل؟

سير السلف كافية للتشجيع اخرج أنت من الموضوع وإذا اضررت قل: عندنا أخت في التحفيظ حفظت مثلك، هناك لا تقول أنا! حفظ الإيمان أمر صعب لا بد أن يكون العبد دقيقًا لا يضيع إيمانه؛ لأن الشيطان يريد منك هذه الفلتات ليدخل إلى قلبك الغرور، وبناء على هذا أرتب مسألة بعيدة يقول بعض السلف: لازال الشيطان في حُزن ما دام الإنسان يقول: لا أدري بما يختم لي. أي يكون إنسان صالح وتقي وكل علامات الإيمان فيه ومع ذلك طوال الليل والنهار خائف من خاتمته، كلَّما خاف العبد من خاتمته كلَّما حزن الشيطان، وقع الحزن في قلب الشيطان لماذا؟ كأنه أغلق عليه باب العجب، والشيطان يعلم أنه لو أدخل عليك العجب أذهب بك، أهاك، أذهب عملك وأذهب كل ما قمت به، ذهب عملك الذي أعجبت به، أما لو أعجبت بحالك فستكون مثل ذاك الرجل الذي عمل وعمل وبسبب ما معه من العُجب دخل النار.

العجب مرض خطير، المهم من أجل أن نحفظ إيماننا لا بد أن نبعد قلوبنا عن هذا المرض، وطبعًا هذه النقطة الثانية مبنية على الأولى. وأنت مهما عملت ما عملت وباقي في قلبك قبلت أو لم أقبل لا أدري، لن تأتي لك اللحظة التي تعتقد نفسك أنك ذاك الذي قُبل وله مكانة، بل أنت تقول: مثلي المفروض يفعل أكثر من ذلك؛ لأن العبد يحاسب على قدر ما أعطاه الله فلو أعطاك الله–عزَّ وجلَّ–شبابًا وصحة المفترض أن يكون عملك أكثر من عمل الرجل الضعيف، ولو أعطالك مالًا المفترض أن يكون عملك أكثر من الفقير، ولو أعطاك ذكاء وفطنة وفهمًا المفترض أن يكون جهدك واجتهادك وتعلمك أكثر من ضعيف العقل، ولو أعطاك لسانًا طلقًا المفترض أن تكون دعوتك إلى ربك أكثر من العي الذي لا يستطيع أن يفصح عما في نفسه.

أنت فقط عدّ ما عليك من النعم وسترى عجبًا، وكيف أن فضل الله عليك كان كبيرًا، والواجب عليك أن تزيد، ولا ترى أن ما قدمت فيه الكفاية، والله مهما عمل العبد لو ما قبله الله فلا شيء، ومهما عمل لو قارنه بنعمة الله–عزَّ وجلَّ–سيكون لا شيء، لكن أقبل على ربك وأنت في حالين:

أولًا: حال من التوبة المستمرة وهذه رقم ثلاثة من أسباب المحافظة على الإيمان، لأن كل عمل لا بد أن يتخلله تقصير، فأنت بعدما تعمل تتوب وتستغفر.

أسألكم بهذه المناسبة، ونحن في النقطة الثالثة: المجالس عندما نجلسها ما دعاء ختمها؟ ((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)) أتعرف أن النبي–صلى الله عليه وسلم–كما ورد في الحديث أنه أمر أن تُختم كل المجالس حتى لو كانت قراءة قرآن بهذا الدعاء، ولذلك أخرج النسائي في سننه باب ما يختم به قراءة القرآن وأخرج هذا الحديث. نحن متى نستعمل هذا الحديث؟ عندما نجلس مجلسًا يُخاف من اللغو فيه. تصور أنت جلست وقرأت القرآن بعد أن انتهيت من هذا المجلس، أنت والقرآن وتقول هذا الدعاء وحتى وأنت بمفردك؛ لأن أي مجلس يقال في ختامه هذا الدعاء يختم إن كان على خير فعلى خير، المقصود الآن أنك تقول دعاء مثل هذا معناه أنت تستغفر الله بعد العمل الصالح، ومثله وأوضح منه خروجك من الصلاة واستغفارك ثلاثًا، واضح أنك كنت بعبادة.

فأنت تخرج بهذين الأمرين:

1. التوبة وهي أحد أسباب المحافظة على الإيمان.
2. الذل والرجاء أن يُختم لنا بخير، نقبل عليه ونحن راجين أن يختم لنا بخير.

ونحن نتكلم عن النقطة الثانية دخلنا إلى النقطة الثالثة، وقلت: وأنت تسير إلى ربك اطرد عنك مرض العجب، أنت تسير إلى ربك وأنت سائر في قلبك أمرين مهمين:

- طيلة الوقت تجدد التوبة والاستغفار وما يلحقها.
- ومن جهة أخرى ينظر الله إلى قلبك وأنت تحمل هم خاتمتك، بماذا ألقى الله؟

فالنقطة الثالثة: حتى نحافظ على أعمالنا نكثر من التوبة، كلما تبت واستغفرت كان هذا سببًا لحفظ العمل. أي حتى سؤال الله حسن الختام هذا ليس سؤالًا باللسان فقط، هذه حال يمر بها القلب لا تنفك عنه، فطيلة الوقت وأنت قلبك يحمل هم اللقاء، كيف سألقاه؟ كيف يكون حالي وقتما ألقاه؟ وهذا هم ليس محزنًا ولا مخيفًا دائمًا، بل تمتزج فيه المشاعر بين الفرح والحزن والخوف، مثلما يواعد الخلق العظماء، فأحدهم يقال له: عندك موعد مع الملك. ماذا يحصل في قلبه؟ كله مع بعضه مشاعر مختلطة، فهذه المشاعر المختلطة من فرح وحزن وخوف، هذا ما يجب أن يكون في قلبك لأنك ستلقى العليّ العظيم–سبحانه وتعالى–الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، فعندما تفكر في لقائه، وطيلة الوقت وأنت تفكر كيف تلقاه عندما ينظر الله–عزَّ وجلَّ–إلى قلب اعتنى بالتوبة المتكررة، وأصبح همّه كيف سألقى الله؟ هذا هو طريق السلامة مع الله، وليس طريق السلامة أن تكثر أعمالًا وتظن نفسك قد أصبت، هذا يؤدي بك إلى العجب.

مرة أخرى أقول النقاط الثلاثة:

نحن نناقش الاستعداد لرمضان بالإيمان، وقلنا إن هناك أسباب لزيادة الإيمان، وله أسباب نقص، فعن اليمين أسباب زيادة الإيمان وعن الشمال أسباب نقص الإيمان، فانتبه وأنت مقبل على هذا الشهر الكريم أن تكون أخذت حظك من أسباب النقص، وإذا أكثرت من أسباب النقص سيأتي رمضان وتجد نفسك هلكت، لا بد أن تأخذ أسباب زيادة الإيمان من أجل أن تقبل على هذا الشهر وأنت في أحسن حال.

في الوسط بين أسباب زيادة الإيمان وبين أسباب نقص الإيمان هناك عمل يجب أن تعمله حتى لا تتحول من الزيادة إلى النقص وهو المحافظة على الإيمان. أي كلما كسبت إيمانًا من أعمالك الصالحة التي تقوم بها كلما تراها ثروة تحتاج إلى محافظة، وقلنا هذا الكلام سنقوله في الهامش.

كيف أحافظ على إيماني؟

ذكرنا إلى الآن ثلاثة طرق:

أول طريقة: أول ما تنتهي من العمل الصالح كان دقيقًا أو عظيمًا، طرقت باب جارتك وسألت عن حالها وانتهى هذا النقاش وأنت في قلبك أصلًا أنك لم تفعل هذا الفعل إلا من باب قول رسول الله–صلَّى الله عليه وسلَّم–: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِي جَارَهُ))[1] هذا نوع من أبواب زيادة الإيمان أن تكرم هذا الجار، انتهينا وكلمت هذا الجار وأحسنت إليه في الكلام هذا العمل يزيد الإيمان ماذا تفعل بعدما انتهى هذا النقاش البسيط؟ أن تسأل الله أن يقبل لك هذه الخمس دقائق التي فعلت فيها فعلًا يحبه الله.

أنتِ الآن تخرجين من بيتكِ إلى هنا وتخرجين من هنا، وأنت قادمة مهم جدًا أن تحرري لماذا تأتي؟ وأنت خارجة انتهى الموضوع الآن ماذا ستفعلين؟ تسألين الله أن يقبل منك حبس نفسك ثلاثة أو أربعة ساعات من أجله، حبست نفسك عن محابك وجلست في مجلس تعلمين أنه مجلس يحبه الله، لماذا يحبه الله؟ لأن فيه ذكره، وأنت لم تخرج إلا لأجل أن تذكره، وتحيط بك الملائكة ويذكره الله فيمن عنده، فتسألين الله أن يقبل منك هذا العمل. فأحفظ إيماني بأني كلَّما قمت بعمل أسأل الله القبول، ولا تسأل عن قلب غافل عن هذه المسألة، لأن هذه الغفلة دليل على أني لا أحفظ إيماني، أنا أكلمك وأقول لك: لا تجعل الإيمان عمل من المعتاد القيام به أعمال الإيمان فقط عمل ونقوم به وانتهى ونرميه وراءنا! لا يصح، لا بد أن أشعر أن التوفيق الذي حصل لي أن أقوم بعمل صالح شكره أن أتذلل أن يقبلني الله–عزَّ وجلَّ–، اعتني بالعمل الصالح في ابتدائه واعتني به في نهايته، وكل مرة اسأل الله القبول بعدما تنتهي من العمل الصالح، وكلما سألت الله القبول كلما فتح لك أبواب وشرح صدرك للأعمال الصالحة وكلما قوي ذكرك له–سبحانه تعالى–.

ممكن مع كثرة الأعمال الصالحة يحصل في النفس العُجب، فنقول: من أسباب المحافظة على الإيمان محاربة أمراض القلب عمومًا وعلى الخصوص مرض العجب، فلو تبرع العبد بمثل جبل أحد ذهبًا وهو يريد الناس كان هذا عليه عذاب، وماذا لو تبرع من أجل الله ثم وجد نفسه فخورًا بما فعل–كما يعبرون–، ويرى نفسه أنه أنجز إنجازاً ما أنجزه غيره؟ هذا يسبب أن هذا الجبل الذي مثل جبل أحد يصبح ولا مثل الحصى في ميزانه!! ذهب بل وهو آثم، فانظر كيف يُذهب الإنسان عمله الصالح، يُذهب إيمانه بمثل هذا المرض، إذًا تذلل لله واطلب

(1) "رواه البخاري" (كتاب النكاح/ باب الوصاة بالنساء/ 5185).

منه القبول، وإذا شرح صدرك للأعمال الصالحة فكن حذرًا من العجب، والذي يسهل عليك أن تكون حذرًا من العجب أنك تنسى الأعمال الصالحة لا تعمل لك قائمة أنا ذكرت أنا سبَّحت اليوم مائة مرة وذهبت وبنيت مسجدًا! لا تعمل قائمة لا تحصي على الله، إذا أردت أن تحصي أحصي ذنوبك أما أعمالك الصالحة كن على يقين أنها لا تضيع.

ونسيان العمل الصالح هذا أحد أدلة الذُّل لله، فلما تنسى ما مضى من الأعمال الصالحة أنك فعلت وفعلت، تنساها نسيان تفاخر يعني كلما نسيت كلما دل على ذُلِّك لله–عزَّ وجلَّ–انسي الماضي، لا تحسبي ما شاء الله لي خمس سنين أتصدق على فلانة! لا نريد الذي في الوراء، انسيه، والذي في الأمام ذكِّري نفسك أني آخر الشهر لا أنسى أني افعل كذا هذا في المستقبل، لكن على الماضي ما تحسبي كم سنة وأنت تتصدقين–مثلًا–، النسيان المقصود على ما مضى.

الأمر الثالث من طرق الوصول إلى المحافظة على الإيمان: التوبة. أكثِر من التوبة، كلَّما تبت وصدقت توبتك حتى سيئاتك تتحول إلى حسنات!! فيزيد إيمانك.

على كل حال، تُعد إلى عشرة أسباب للمحافظة على الإيمان، لكن يكفينا هذه الثلاثة في هذه العجالة. الكتب التي تتكلم عن زيادة الإيمان ستتكلم عن المحافظة على الإيمان، مثل كتاب الشيخ عبد الرزاق البدر الذي يتكلم فيه عن أسباب زيادة الإيمان وفي ضمنه كلام عن المحافظة على الإيمان.
انتهينا من المحافظة على الإيمان.

نعود إلى أصل موضوعنا، ذكرنا أسباب زيادة الإيمان على وجه الإجمال وتوقفنا عند أول سبب وقلنا إنه أهم سبب وهو العلم النافع، وذكرنا أن العلم النافع له رأسان لا ثالث لهما:

- أن تنكب على كتاب الله.
- وأن تعتني بسنة النبي–صلى الله عليه وسلم–

واتفقنا أنه في المقدمة سنعتني بكتاب الله، خصوصًا أن قيام رمضان وأوقات رمضان لا بد أن تكون عامرة بقراءة كتاب الله، ولا زلنا نقول: تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، الذي ستجمعه في الرخاء من فهوم

ستتبين لك وبسرعة وأنت في وقت الشدة، فبدلًا من أن تكون في رمضان تبحث ما معنى هذه الكلمة؟ اجعل هذا العمل في الرخاء، عندما تأتي الشدة ستجد هذا الأمر له أثر عليك.

واتفقنا على كلام قتادة رحمه الله-: "ما جالس أحد كتاب الله إلا قام عنه إما بزيادة أو نقصان" متى تأتي الزيادة من كتاب الله؟ عندما تكون شديد الملاحظة، عندما تفهم أن هذا القرآن يخاطبك لا يخاطب الناس، عندما تسمع مثلًا عن بني إسرائيل وما تعتقد أنك تسمع تاريخًا، أنت تسمع عن بني إسرائيل من أجل أن تحذر أن تكون فيك صفة من صفاتهم السيئة، أو تسمع عن بني إسرائيل في أول الأمر وترى كيف أن الله فعل بهم وأعطاهم وإلى أخره.

أنت تسمع عن الأقوام ليس من أجل أن تقرأ تاريخًا مجردًا! بل أنت تعرف الله هنا، وهذا أهم ما في القرآن من أوله إلى أخره القرآن من أجل أن تعرف الله الذي أنت له عبد، ألا يجب على العبيد أن يعرفوا سيدهم ومالكهم؟! يجب عليهم من أجل أن تستمتع بعبوديتك، أنت في العبودية عبد، لكنك لا بد أن تعتز بعبوديتك له، عبودية الخلق للخلق عبودية مصّ دماء بمعني لو شخص عبد لشخص يمص دمه، لكن عندما تكون عبد للملك العظيم إنما هي عبودية تستمتع بها، يقال لك: أي هم ضعه عند بابه، أي حاجة اسأله، أي أمر تريده في نفسك أو في أبنائك اسأل الملك الذي يملك كل شيء ويعطيك، يقال لك: فقط قل: حسبي الله وكفى، يعني هو كافيني وحسبي ومرادي عنده، فهذه عبودية شرف أن يقال لك: لا تحمل هم أي شيء، أنت فقط أطعه وسترى آثار طاعته أنه يغنيك ويشرح صدرك وييسر لك أمرك ويبعدك عن الضلال ويوصلك إلى الهداية، بركات تنزل {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}[1] لماذا وردت هذه الآية بعد هذه الآية؟ لماذا الخبر الذي أتانا أننا خلقنا ليعلم الله أينا أحسن عملًا بعد أن أخبرنا بأنه له ثلاثة صفات:

- أنه تبارك ينزل البركات.
- وأن له ملك كل شيء.
- وأنه على كل شيء قدير.

(1) [سورة الملك: 1،2]

لكي يقال لك: إن هذا الملك العظيم الذي وصفه أنه على كل شيء قدير والذي ينزل البركات اختبرك هل تتعلق به وتطلب البركات منه أم يتشتت قلبك؟ واختبرك بأن هذا الأمر غيب لكنك ترى آثار كمال صفاته.

الإنسان بدون القرآن يرى آثار الكمال في كل شيء لكن لا يستطيع ترجمتها، بالقرآن سيترجم الإنسان ما يشعر ويرى ويتيقن من آثار الكمال في كل شيء هناك كمال:

- في أفعاله كشخص.
- في أفعاله في الكون.
- في خلقه–سبحانه تعالى–.

كل شيء فيه كمال، لكنك لا تستطيع ترجمته إلا إذا عرفت الله من كلام الله. بمعنى مثلًا: شخص متخصص في التشريح وعندما يشرح جسم الإنسان يرى عجبًا من دقة الصنع، لو لم يكن يعرف ربنا ينظر له ويقول: أكيد الذي صنع هذا الصنع له صفات كاملة أنه كذا وكذا وكذا، هذه الصفات التي رأى أثرها في المصنوع لو فتح كتاب الله سيجدها بيّنة واضحة وصف الله بها نفسه، فماذا يجب أن نفعل؟ عندنا نقطتين:

- أتعلم العلم النافع أولًا.
- ثم أرى في الكون.

لماذا؟ لأني كلَّما أخذت وتعلمت من كتاب الله كلَّما بدأت أفسر كل الأفعال تفسيرًا صحيحًا وأستطيع نسبتها إلى الله، وهذه عندنا مشكلة عظيمة في نسبة الأفعال.

ما موقفي أولًا من أجل أن أقوم عن القرآن بزيادة؟

لا بد أن أنظر للقرآن على أنه كتاب خوطبت به، وأن المطلوب أن أعرف الله من كتابه، والله–عزَّ وجلَّ– عرفني بنفسه وهذا أول مبحث وأهمه كما اتفقنا، أن أول مبحث وأهم موضوع نهتم به ما ورد عن الله–عزَّ وجلَّ–من أسمائه وصفاته–سبحانه وتعالى–.

من المواضيع المهمة: أن الله–عزَّ وجلَّ–بعدما أخبرني عن صفاته أراني آثارها في القوم الذين مضوا، أراني كيف يعامل المؤمن ويعامل من كفر، يعامل من استغاث به ويعامل من أعرض عنه، إذًا ستجدين في قصص القرآن

آثار صفات الله–عزَّ وجلَّ–أي أن هذا القرآن كتاب تعرف الله به، تعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله، يظهر لك في ثنايا القصص كيف أنه يعامل خلقه، يظهر لك أيضًا في ثنايا الأمثال وترى علمًا عظيمًا، ويظهر لك في ثنايا الأوصاف التي وصف بها أهل الإيمان أو وصف بها أهل الكفر أو وصف بها الناس على وجه العموم.

النقطة التي سنهتم بها ما هي؟

- أسماء الله–عزَّ وجلَّ–وصفاته.
- ثم ثانيًا بالقصص في القرآن.

أنا الآن أريد أن أصل إلى أن يكون القرآن سببًا لزيادة الإيمان، فماذا أفعل؟

أول شيء، هناك عبادة اسمها عبادة التدبر، ويجب أن تفهمها جيدًا حتى لا تصبح هي بنفسها مشكلة عليَّ، لأن نحن الآن نقول: يجب علينا أن نتدبر القرآن، ما هو فعل التدبر؟ فعل التدبر أصلًا أن تأتي بالكلام الذي تسمعه من أوله لأخره ومن أخره لأوله، فالتدبر من دبر الشيء، أي من نهايته، ترده من أوله إلى آخره ومن آخره لأوله، أي تقلبّه في عقلك مرة واثنتين وثلاثة، فهل نحن نفعل هذا الفعل أم مباشرة أول ما أقول أريد أن أتدبر نفتح كتاب التفسير؟ غالبنا عندما يريد أن يتدبر يفعل ذلك، نقول: لا، أخطأت. نقول: أخطأت، أولًا مرحلة أنت والقرآن، يجب أن أعرف أصلًا أنا عن ماذا أبحث؟ يجب أن تمسك كلام الله نفسه وتقرؤه مرارًا وتكرارًا إلى أن يتبين لك الأمر، لا نريد أن تفسر، لكن فقط نريد أن تظهر لك علامة استفهام. غالبنا يقول: فتحت التفسير وما فهمت، ولم أخرج بالنتيجة المطلوبة، لماذا؟ لأن عقولنا لا بد أن تفتح فيها علامة استفهام أولًا ثم نجيب عليها، لكن أنا أصلًا ليس حاصل لي أن أعرف ما الشيء الذي أبحث عنه.

سأضرب مثلًا، قال تعالى: {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}[1] السؤال يقول القرآن هدى للمتقين فقط أم هدىً للناس كلهم؟ يعني أنا ما أهتدي به إلا إذا كنت متقيًا أو هو الذي سيوصلني للتقوى؟ الله–عزَّ وجلَّ– يقول: {هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ} أي المفترض أن تأتي ومعك تقوى. هذا من المحفوظ الذي يحفظه كل الناس أول خمس آيات في سورة البقرة غالب الناس يحفظونها، هو هدى للمتقين، هل آتي ومعي تُقى ثم ينفعني، أم منه سيأتي التقى؟ وهذا السؤال يفهمك ماذا يحدث، كثير من الأمهات تريد أن تهتدي ابنتها فتأخذها

(1) [سورة البقرة: 1،2]

لمدرسة تحفيظ وتظن أن بمجرد دخولها مدرسة التحفيظ ستكون النتيجة الهداية، ثم تشتكي الأم وتقول: ما زالت كما هي، هي تظن أن هذه المدرسة أو هذا الحفظ هو الذي سيأتي بالنتيجة.

انظر ماذا يقول صحابة النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن))[1] هذا يفسر لك كلامهم، الإنسان يأتي وفي قلبه تعظيم لله، تعظيم لكلام الله، لو أتيت وفي قلبك تعظيم لله وتعظيم لكلام الله سيكون كلام الله هداية لك. لو هذا الشخص ليس معه قبول للإيمان سيستخدم هذا الجو فيما يريد وعلى هواه، وقد يُفسد لي الجو. الجماعة الذين في المدارس ويمارسون يعرفون هذا الكلام جيدًا، نعم الخلطة لها أثرها، لكن لا بد أن يكون في القلب شيء من الإيمان.

- نحن لا نريد أي شيء نريد تعظيمًا للقرآن.
- شعور أن هذا القرآن هو كلام الله.
- شعور أنه يهدي للتي هي أحسن، يهدي للتي هي أقوم.
- (شعور) وبعد هذه المشاعر يهتدي الإنسان.

وهذا ليس كلامي، بل الله–عزَّ وجلَّ–يقول: {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} أي أنه سيكون سببًا للهداية على قدر تقواك. هذه القاعدة الأساسية: كلَّما زدت تقوى كلَّما زادت هدايتك بالقرآن. المثل مضروب لسؤال الاستفهام، المفترض أن تثير هذه الآية استفهامي: ما الذي يجب أن يكون معي قبل أن أدخل على القرآن؟ هذا القرآن هدى لمن؟ مثلًا: أنا مقبل وأريد أن أتدبر، لا تتصور أنه سيُفتح لك أبواب في فهمه وأنت ما قدمت بين أبواب فهمه شيء من التُقى، يجب أن يكون لديك شيء من التقى تتقي الله، وكلَّما زدت تقوى كلما فتحت كلام الله وشرح الله صدرك وأفهمك، لذلك كثير من الناس تقول: عندما نقرأ القرآن في رمضان كأننا نقرأه أول مرة، وهناك آيات تمر علينا وكأننا أول مرة نقرأها، لماذا؟ لأن جو من التقى حصل في رمضان سبب للإنسان انشراح الصدر.

(1) سنن ابن ماجة وشعب الإيمان للبيهقي عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا ».

أولًا مرحلة (أنا والقرآن) مهمة جدًا نريد سؤال استفهام ولا نريد إفتاءات وواحد يقول: أنه تبين لي من خلال القراءة! نحن فقط نريد الذي موجود في كلام الله، لا نريد تفسير الآيات ما وصلنا إلى هذا، فقط نريد أن نلاحظ يصير عندي علامة استفهام.

الآن مفروض يصير عندي علامة استفهام في موطنين:

- أسماء الله.
- والقصص في القرآن.

أنا الآن أناقش المسألة من جهة الموضوعات، أي: نحن اتفقنا على خمس موضوعات سنهتم بها على المدى الطويل.

أولاً سنهتم بموضوعين:

- أسماء الله–عزَّ وجلَّ–وورودها في كتاب الله.
- والقصص في القرآن.

وسنضرب أمثلة على هذا وهذا.

في أسماء الله–عزَّ وجلَّ–وصفاته وأفعاله هناك عبادة عظيمة لا بد أن نقوم بها، وهذه العبادة لا تحتاج إلى تفسير ولا لغيره، فقط تحتاج أن تركز وأنت تقرأ كلام الله. سنبدأ بالأولى، أنا والقرآن، لنضرب مثال في سورة الروم الآيات من 24:21

الآن أنا سألاحظ ثلاثة أمور:

- أسماء الله.
- صفاته.
- أفعاله.

وسأرى آثار هذا علي، يعني أي عبادة هذه التي سأعبد الله بها وقت ما أصل لهذه النقاط؟ في الآية (21) ما هي الآية التي يلفت الله نظرنا إليها؟ لتسكنوا إليها؟ قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} يعني كلَّما رأيت كيف أن الله–عزَّ وجلَّ–جعل في الحياة الأزواج وأنزل هو–سبحانه وتعالى–المودة والرحمة بينهم، وأن العقل المجرد يقول: إن شيئًا

تحتكّ به وقتًا طويلًا ستمل منه، يمكن كثير من الصغار الذين لم يعيشوا هذه الحياة يقولون: كيف يبقى زوجي طوال هذه الأيام؟ تتصور أن طول المدة يسبب الملل، المنطق يقول: يسبب الملل لأن من عادة الإنسان أن يمل، لكن لا بد أن تعرف أن الزواج آية من آياته وأنه–سبحانه وتعالى–هو الذي ينزل المودة والرحمة، انظري آخر الآية: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} أي أن هذه المسألة تحتاج إلى تفكر: كيف أن الله–عزَّ وجلَّ–يعمِّر البيوت رغم اختلاف الطباع؟ كيف يجمع هذا مع هذا؟ كيف يجتمعون ثم ينسجمون مع اختلاف طبائعهم وتفكيرهم؟ كيف يتحول الأمر إلى أمر طبيعي ويقبله كل الخلق؟ مثل هذا يحتاج إلى كثير من التأمُّل، كيف أن الله–عزَّ وجلَّ–يلائم بين هؤلاء لدرجة أن كثير من الأزواج تجد أن كلامهم أصبح أسلوبًا واحدًا، تجد أحيانًا أنهم ينسجمون انسجامًا تامًا، والذي سبَّب هذا الله آية من آياته–سبحانه وتعالى–تحتاج إلى تأمُّل وتحتاج إلى تفكر، لكن من يتفكر؟ الذي يفهم جيدًا، أي كل مرة نرى أزواج سنقول: ما جمعكم إلا الله، ولا ألَّف بينكم إلا الله، ولا أبقى بيوتكم إلا الله هنا سنعبِّر بتوحيد الربوبية.

الآيات التي بعدها الآن: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} ومن آياته خلق السماوات والأرض، ثم اختلاف ألسنتكم: يعني اللغات، كلما سمعت وخصوصًا في الحرم الناس يتكلمون بلغات مختلفة بدون تعلُّمك للآية تقولين: سبحان الله، لكن عندما تتعلمين هذه الآية ماذا سيقع في قلبك؟ ترددين الآية {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} وقتما تسمعين هذه الأصوات المختلفة تقولين: يقول–سبحانه وتعالى–في سورة الروم: {وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ} هذه من آياته–سبحانه وتعالى–وتسبحين. العاميّ الذي ما عنده تدبر يمكن ألَّا يلفته وإذا لفته يمكن أن يقول: سبحان الله، لكن أنت التي تعلمتِ تجيبين بالآية، يقول–سبحانه وتعالى–في سورة الروم كذا وكذا.

{وَأَلْوَانِكُمْ} نفس الكلام كلَّما رأيت لونًا كلَّما اعترفت أنه والله ما أعطاك هذا اللون إلا الله، هذا يعني تحرير توحيد الربوبية في مواطنه، والربوبية هي أفعال الله، الله–عزَّ وجلَّ–رب له أفعال أين أفعاله؟ في كل شيء.

المطلوب منك توحيده وله قاعدة عامة كل الناس معترفين أن لهم رب إلا الملاحدة اتركيهم، أنتِ الآن تزيدين عن هؤلاء الناس حتى أهل الإسلام بمرحلة اسمها: تحرير توحيد الربوبية، ما معنى التحرير؟ كل موطن تجدين فيه آية من آيات الله تدل على فعل من أفعاله تأتي إليها وتفردين الله بها، تقولين: ما علّم الناس الألسنة المختلفة

يعني اللغات المختلفة إلا الله، يعني تفرديه بالفعل، إفراد الله بأفعاله هذا توحيد الربوبية، فانظري إلى الأفعال التي ذكرها تعالى في كتابه–سبحانه وتعالى–وأفرديه بهذه الأفعال:

- ما جعل هذه العوائل تقوم إلا الله.
- ما خالف بين هذه الألسنة وجعل هؤلاء يتكلمون هذه لغة وهؤلاء يتكلمون هذه اللغة إلا الله.
- ما غاير بين الألوان إلا الله.

انظر هذا التحرير وهذا كله معتمد على أنك قرأت آية ورأيت أفعال الله ثم صادفتها في الكون ثم انتقل عقلك إلى الآية التي قرأتها، الآن رأيت ألوانًا مختلفة ورأيت ألسنًا مختلفة في الكون عقلك ينتقل إلى الآية التي قرأتها في سورة الروم وترد على نفسك: والله ما غاير بين ألوانهم إلا الله، وما غاير بين ألسنتهم إلا الله، ولا أعمر بيوتهم إلا الله. هذا كله اسمه توحيد الربوبية، المشكلة أن نحن حتى في أنواع التوحيد الناس يحفظونها تقول: ما هو توحيد الربوبية؟ يقولون: توحيد الربوبية إفراد الله بأفعاله. وما أفعاله؟ أفعاله هذه التي أنت تعيشها ليلًا ونهارًا.

((في سورة الليل مرَّ معنا قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ}[1]

كل مرة الناس يستمتعون بها بالغروب ومنظر جميل المفترض أن يحصل هنا توحيد الربوبية، أي تقول: هذه الشمس عبد خلقه الله وها هي تغرب بأمره، وها هو الليل يغشانا بأمره، ما غشانا الليل إلا من فعله.

فانظر الآن عندما تمارس هذا ليلًا ونهارًا مع النصوص أي غفلة يمكن أن تصيبك؟ المفترض ألا تأتي هذه الغفلة لأنك أنتِ تقرئين أفعاله وتنقلين هذه الأفعال للحياة التي تعيشينها ثم كل مرة تمر عليك تنبهين نفسك أن هذه الآية قرأتها في كتاب الله. الختمة الأولى فهمت أنه يرسل السحاب ما ركزت في أي موطن، في الختمة الثانية سأركز تمام هذه الآية وردت في سورة كذا، وكلما تمرّنت على أنك تأتي على أفعاله–سبحانه وتعالى–وتأخذ الآيات التي وردت فيها وتعايشها وتفرد الله–عزَّ وجلَّ–بها كلَّما قوي في قلبك الإيمان؛ أصلًا ما هو الإيمان بالله؟ الإيمان بالله هو أنواع التوحيد الثلاثة، تؤمن بالله يعني توحده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، هذا هو معنى الإيمان بالله، إذًا معنى ذلك من أجل أن تزيد إيمانك بالله تعال لتوحيد الربوبية وحرِّره أي خرّجه من المحفوظات إلى الواقع.

(1) [سورة الليل: 1]

لنرى الآية التي بعدها قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}

النوم آية من آيات الله، في الواقع الناس مهما دافعوا النوم يغلبهم هذا يعني أنه آية من آياته مهما كان الإنسان قويًا ومهما كان الإنسان منظمًا ومهما كان الإنسان لديه شيء مهم مع ذلك ينام وتغلبه هذه الآية، فنومك بالليل آية من الآيات، فتصوري كل مرة ينام الناس في الليل وتجد أنه شيء طبيعي أن يناموا، ماذا تجد في قلبك؟ تجد في قلبك أن هذه آية ما كان النوم يغلبك هذه الغلبة إلا لأن الله جعله عليك آية، ولا أنت تقول: سأقاوم وسأبذل جهودي وسأقاوم، انظر مهما قاومت في النهاية ستنام كلنا معترفون بهذه الآية كلنا نشعر بها فيحصل النوم في الليل وجزء منه في النهار وابتغاء الفضل في النهار.

الآية (24) {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} إذًا البرق: الناس يتعلمون أنه ظاهرة طبيعية أنت المطلوب منك أن تحرر المسألة تحريرًا إيمانيًا، فالبرق هذا آية من آياته يعني فعل من أفعال الله–عزَّ وجلَّ–أن يرينا البرق، يعني فعلًا من أفعاله أنه يرينا البرق كما أن فعلًا من أفعاله أن يرسل الرياح، كما أن فعلًا من أفعاله أن يغشانا الليل، فأنت الآن أمام أفعال يجب عليك تحريرها، تحررها بمعنى إنك تأخذها من الآية القرآنية وتنقلها إلى الواقع وكلَّما رأيت الآية الكونية راجعت الآية القرآنية وأهم شيء أنك كلَّما تراجع توحد الله تقول: ما أتى بهذا البرق إلا الله.

نفس الآية: {وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} الآن كل مرة ينزل فيها المطر المفترض أن يقع في قلبك توحيد الربوبية، ما أنزل المطر إلا الله، تقولين: أنا مؤمنة بهذا كله على وجه الإجمال نقول هذه مشكلتنا مع الإيمان نتصور أن الإجمال كافٍ فيه، من قال لك: إن الإجمال كافيًا؟ الله–عزَّ وجلَّ–لو كان الإجمال كافيًا كان أراك المطر مرة والبرق مرة والنوم مرة، لكن هذه الآيات تتكرر عليك من أجل كل مرة تتكرر عليك يزيد توحيدك في نفسك أنه لا يفعلها إلَّا الله. ما الذي مات في قلوبنا؟ إفراد الله بأفعاله، لدرجة أني لو سألتك الآن: السفينة التي تسير في البحر كم مرة اعتقدت وراجعت اعتقادك أن الله هو الذي أجراها؟ كم مرة قلنا لأنفسنا: ما أجرى هذه السفينة في البحر إلا الله؟ أين الآية في كتاب الله؟ هاتوا مكانًا واحدًا فيه الآية في أي سورة؟ موطن البقرة.

المراد أن هذا الفعل الذي يحصل أخبرك الله عنه أنه من أفعاله المطلوب منك كل مرة ترى هذا الفعل توحِّد الله به ما أجرى هذه السفينة إلا الله، والله–عزَّ وجلَّ–في كتابه يقول في سورة البقرة في سورة الروم في سورة الشورى هذا الذي ستخرج به بنتيجة من جمعك هذا، كلَّما تقدمت في هذا المفهوم كلَّما بدأت تتيقن، كيف يأتي اليقين؟ اليقين لا يأتي بالمعاملة الإجمالية لآيات الله؛ لأن المؤمن بالإجمال عنده إيمان لكن إيمانه ضعيف، والمؤمن بالتفاصيل سيكون نوع إيمانه قوي؛ لذا لا بد من استغلال أذهانكم.

ما هو الإيمان التفصيلي؟ هو الذي نشرحه تأتي لكل آية من الآيات التي تدل على أفعال الله تأتي لها تحررها، لا نريد في ختمة الشهر القادم فقط، أنت كم عمرك؟ كل مرة تختم فيها كل مرة زد وابحث عن أمر واستقصيه في كتاب الله ستجده واضحًا.

التوحيد أنواع سأبدأ بتوحيد الربوبية: الأمثلة التي نضربها الآن تحرير لتوحيد الربوبية، أحرره من الأوراق والأقلام أخرجه يعني توحيد الربوبية أصبح مسجونًا في تعريفه: إفراد الله بأفعاله، ما معناه؟ خالق ومالك، أنا أريد منك وأنت تمارس إفراد الله بأفعاله تأتي لأفعال الله وتقول: ما فعله إلا الله، كن واضحًا مع نفسك ما ألقى في قلوب الأزواج المودة والرحمة إلا الله ما عُمِّرت البيوت إلا بأمر الله، ما اختلفت ألسنة الناس إلا أن الله كان من فعله أنه جعلها مختلفة، ما تغيرت الألوان إلا أن الله أعطى لكل واحد من الناس لون، وكل هذا سيصلح حال الناس.

الاستهزاء بالناس، الاستهزاء بألوانهم، ما سببه؟

سببه كلمة واحدة أنهم لا يعرفون أنه خلق الله فعل الله، وأنك لا تعرف أنه آية من آيات الله يجعلك تتعدى على فعله، وهذا تعدي على الفاعل، وتصور ماذا يحدث في البيوت والناس في صمت لا يتكلمون، والناس لا تدافع عن حرمة التعدي على فعل الله، والسبب الإيمان الإجمالي أن الله الخالق الرازق المالك وتفصيلًا غائب عنا. لدرجة أنني عندما أشرح لابنتي في درس العلوم أو الجغرافيا ظاهرة مثل ظاهرة سير السفن في البحر، هذه الظاهرة نتكلم فيها عن قوة دفع الماء وعن قوة ثقل السفينة وغير ذلك، وبعد ذلك نضع لها كم حرف ونقول لها: هذه المعادلة احفظيها وستنجحين في الاختبار!

جريان السفن من أفعال الله وآية من آيات الله، ولم يجرها إلا الله، ولم يجعل هذه السنَّة الكونية موجودة في الكون إلا إياه، موطن عظيم من مواطن الإيمان بالله، ما نريد أن نخرج نتكلم في الإبحار في الكلام عن الإعجاز العلمي، عن التفاصيل العلمية، كل الذي نريده آية تقرؤها في كتاب الله واضحة لا تحتاج إلى تفسير بل أنتِ تفهمين معنى أزواج ومودة والرحمة، وتفهمين معنى اختلاف الألسنة واختلاف الألوان، وتفهمين معنى البرق، وتفهمين معنى الماء وإنباته، فحرر هذا قبل أن تحدثني عن الذي لا تفهمه كلمني عن الذي تفهمه وحرره وكل مرة تجد هذه الآية كرر على نفسك والله ما أنزل المطر إلا الله، ما أنبت هذه الأرض الخضراء إلا الله، الآن الذي يطلع جدة مكة يرى عجبًا العشب الأخضر أصبح بطول الناس، عجيب منظر عجيب ماذا تقول؟ ما أنبته إلا الله!

وانظر عندما تردد على نفسك: ما أنبته إلا الله. أي إيمان هذا الذي سيزيد في القلب؟! كلَّما وحدت وجمعت كل الظواهر أن واحدًا فعلها كلَّما تعلق قلبك بهذا الواحد، صار هو ملجأك، أصبح وحده مرادك. مثلًا بنتي متزوجة وأريد مودة ورحمة بينها وبين زوجها أفعل لها خارطة تفعل وتفعل، ونقول: هذا أخذ بالأسباب. أول وأهم سبب على الإطلاق: أن تطلب مَن ينزل المودة والرحمة، مَن مِن آياته المودة والرحمة تسأله أن ينزل المودة والرحمة، أين هذا؟؟ غالبنا نعتقد أن الحياة الزوجية تنجح بقوانا، وهذا ما شرحناه أمس في مثال بسيط: كيف يقع منا أن نستغني عن الله بما أعطانا الله؟ يحصل هذا أن العباد يستغنون عن الله بما أعطاهم الله، كيف ذلك؟ كم مرة أعطانا الله–عزَّ وجلَّ–القوة والقدرة ونحن نتخيل أن قوتنا وقدرتنا تمكنا من القيام بالفعل.

الآن أذَّن المؤذن مثلًا: حي على الصلاة وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، أي: لا أستطيع أن أقوم إلى عبادتك يا ربنا إلا إذا أعطيتني الحول والقوة، كم مرة شعرنا بهذه المشاعر كما ينبغي؟ نحن عندما يكون عندنا شيئًا من الصحة ماذا يقع في قلوبنا؟ أني أستطيع أن أقوم الليل، أستطيع أن أصلي، أستطيع أن أصوم عندي وقت أستطيع أن أقرأ القرآن، كل مرة تتكلين فيها على نفسك يقع لك الخذلان، الحول والقوة من الله لا تستطيع أن تستغني عن الله ولا طرفة عين، لكن الخلق ماذا يفعلون؟ يعطيهم الله القوة فيظنون أنهم يملكونها، يعطيهم المال يستغنون عن طلب الله البركة ويظنون أن المال معهم يغنيهم عن الله.

على كل حال، أنا لا أريد أن أشتتكم أريد أن نسير على خط واحد، الآن نحن نتكلم عن مواضيع القرآن وهذا أول مسلك لك يجب أن تسلكه لا تأتي إلى ما تراه غير مفهوم تعال إلى المفهوم، وابدأ حتى لو كنت

تتعامل بالسور أو المواضيع فالنتيجة واحدة هناك مواضيع مهمة يجب عليك أن تفهمها، أهمها وعلى رأسها معرفة الله لآن هذا الكتاب يعلمني عن الله هذا الكتاب أتى من أجل أن تعرف الله، كل فعل لله يجب عليك أن تعتني به، كيف تعتني به؟ وحِّد الله به.

ننتقل إلى الآية التي بعدها {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ} أنت ترين السماء والأرض أليست السماء آية من آيات الله؟ لكن ليست الآية في خلقها فقط، أيضًا هناك آية عجيبة، نحن الآن في قانون الخلق: أن لا شيء مرتفع إلا بأعمدة والسماء قائمة بغير عمد! آية ما أقامها إلا الله ما أمسكها إلا الله، وهي آية تكرر في كتاب الله المطلوب منك أن توحِّد الله تعالى بها، تعلم أن الله هو الذي أمسكها أن تقع رفعها بغير عمد، وهذه الآية أيضًا–كما تعلمون–أشير إليها في سورة الرعد.

إلى أن أصل إلى آية (46) في الروم {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} لازالت نفس الأمثلة {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ} أنتم سمعتم أمس وأول أمس عن الرياح في المملكة، هذه الرياح آية من آياته كلما سمعتِ عنها تقولين: ما أرسلها إلا الله، تأتيك أخبار كلما تأتى الأخبار هذه يجب أن تحرك وجدانك، وتذكرين آية على الأقل في كل آية من آياته تذكرين موطن من مواطن الخبر عن الله، وهذا الكلام خصوصًا للحفاظ الناس الذين يحفظون القرآن لا يصلح أسالك أي موطن ذكر الله فيه إرسال الرياح؟ لا تعرفين أن تأتي به، المفترض أن تجمعيه مع بعضه، لو كنتِ حافظة تقولين: ذكر الله إرسال الرياح في سورة كذا وكذا وقال في ذلك كذا وكذا، هذا هو المفروض أن يكون ناتج الحفظ، فعل من أفعال الله يكون واضح تمامًا أين أخبرني الله عنه، لسنا كلنا حفاظ لا بأس، أحفظ موطن واحد من مواطن هذا الحال الذي أنت تعيشه، الآن الرياح أليست كل الليل والنهار حولنا؟ كلما رأيت الريح قل ما أرسلها إلا الله والدليل أن الله قال في سورة الروم كذا وكذا.

نأخذ مثالًا أيضًا لنصل إلى الفلك في آية (46) ماذا قال الله–عزَّ وجلَّ–عن الفلك؟

اللام هذه لام التعليل، تعليل لإرسال هذه الرياح، يعني هذه الرياح من آثارها أنها مبشرات للمطر وأنها سبب لإجراء الفلك التي لا تجري إلا بأمره هل تفهم هذه المسالة أن هذه لا تجري إلا بأمره؟ يعني لو اجتمع أهل الأرض على إجراء سفينة ما أجروها!! ولو اجتمع أهل الأرض على إنقاذ سفينة من الغرق ما أنقذوها !!مهما

بلغ حالهم من التقنية والاعتناء والاهتمام. المقصد أن الفلك تجري في البحر بأمره–سبحانه وتعالى–وعلى ذلك وجب عليك أن توحده في الإجراء ما أرسل هذه الرياح إلا الله ولا أجرى السفن في البحر إلا الله. هكذا تبين الكلام حول توحيد الربوبية، وليس المقصد توحيد الربوبية، بقدر ما هو الكلام حول أفعال الله–سبحانه وتعالى–وبيانها في قلوبنا توحيد الله بأفعاله–سبحانه وتعالى–.

مرّ معنا طريقة أخرى في النظر إلى أسماء الله–عزَّ وجلَّ–وصفاته نظرنا إليها بأي طريقة؟ أتينا إلى ختم الآية مثل سورة الشعراء كرر تعالى اسمه (العزيز الرحيم) بعد كل قصة تسع مرات وفي الحج وجدنا صفحة واحدة خُتمت الآيات فيها بأسماء متعددة، هذه طريقة تلاحظها لا يصح أن تقرأ سورة مثل سورة الشعراء من أولها إلى أخرها ولا تلاحظ تكرر اسمي (العزيز الرحيم) طوال السورة، ولا يصح أن تقرأ موطن مثل موطن سورة الحج وتتكرر أسماء وراء بعضها ولا تلاحظ أن كل آية ختمت بأسماء الله –عزَّ وجلَّ–

نحن الآن في طور الملاحظات إلى أن بلغنا الكلام حول أفعاله مثل اليوم، فألاحظ أسماءه –سبحانه وتعالى–في خواتيم الآيات سواء تكررت في السورة أو تعددت في السورة، وألاحظ أفعال الله–عزَّ وجلَّ–والأفعال لها نوع في التوحيد الأسماء والصفات لها نوع في التوحيد. بعدما فهمنا أن هناك آيات تختم بأسماء، أو سور تتكرر فيها أسماء، أو تأتيني أخبار عن الله؟ في هذا كله المطلوب أن تسأل: ما معنى ذلك؟ أي: خُتمت الآيات باسم اللطيف الخبير، في لقمان، يكلم ابنه يقول له: يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة، أو في السماوات أو في الأرض يأتي بها الله، إن الله –ما وصفه – (لطيف خبير) لماذا ختمت الآية باللطيف خبير؟

{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}[1]

حتى أصل لهذا السبب المفروض أن أفتح مشروعًا جديدًا، وهو:

- أن أعرف معنى لطيف وأعرف معنى خبير، هذا قبل التفسير، الآن سأبحث في موطن متخصص، مثل كتاب فقه الأسماء للشيخ عبد الرزاق البدر، فأبحث ما معنى لطيف؟ ما معنى خبير؟ خرجت بالمعلومتين.
- ثم أقول على ما فهمت باسم اللطيف الخبير ما علاقته بالآية؟

(1) [سورة لقمان: 16]

إلى الآن لا أتكلم عن التفسير، إلى هنا حصل عندي سؤال. المهم عندي سؤال، وهذه العقول الأسئلة فيها طبيعية لكن متى تهتم بالقرآن؟ عندما نتعبد الله بحديث ((مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ))[1]. انظر لو تركنا ما لا يعنينا تجمعت قدرتنا الذهنية على أسئلة الاستفهام على القران، لكن نحن مشغولون عقولنا مشغولة، فبسبب انشغالها ما صار عندنا قدرة أن نجمع أسئلتنا على القرآن.

المقصد الآن أن آتي إلى أسماء الله وصفاته التي أقرأها وألاحظ:

- لماذا ختمت الآيات بهذا؟
- هل السورة فيها أسماء متكررة أم لا؟
- هل السورة فيها أسماء متعددة أم لا؟

ليبقى في عقلك دائمًا، في الشعراء كرر فيها كذا وكذا، الحج كرر فيها كذا وكذا، المؤمنون ورد فيها كذا وكذا، طه أتى فيها اسم الرحمن، وهكذا.

انتهينا من الأسماء والصفات، بقي لنا الأفعال وهي مثلما تمرَّنا كل ما تمرين على أفعال لا تنتقلي، لا تجري وأنت تعاملين القرآن، قفي عند الآية وكرريها وقولي: كم فعل فيها من أفعال الله ما المطلوب مني؟ أن أعتقد أنه لا يرسل الرياح إلا الله، أن أعتقد أن الفلك لا تجري في البحر إلا بأمره أن اعتقد أن المودة والرحمة التي بين الأزواج لا ينزلها إلا الله أن أعتقد... أن أعتقد...وهكذا. فكم من المواطن ستجد؟ شيئًا عظيمًا، وهذا هو الذي يسبب زيادة الإيمان بقراءة القرآن، طيلة الوقت يقال لك: اقرأ القرآن يزيد الإيمان ونجد أنفسنا نقرأ ولا نشعر بالزيادة، والسبب انقطاع علاقتنا بأسماء الله–عزَّ وجلَّ–وصفاته وأفعاله.

في سورة طه وجدت أنه تكرر اسم الرحمن، في عمل آخر منفصل اذهب وافهم ما معنى اسم الرحمن وافهميه بالتفصيل، في سورة الحج هناك أسماء كثيرة متعددة، هل لها علاقة ببعضها أم لا؟ اجمعها واكتبها وافهم كل اسم منفردًا ثم اذهب لتفهم هل لها علاقة ببعضها أم لا؟ ثم تصور هل لها علاقة إجمالًا ببعضها أم ليس لها علاقة؟ نحن نتكلم عن الأسماء والصفات والأفعال.

(1) سبق تخريجه ص66.

هذه خطة قصيرة المدى إلى أن نلتقي المرة القادمة، لكن سنحدد سورًا بعينها ستكون ملاحظتنا فيها لنتدرب في ذلك، سأبدأ من المفصل، يعني سنأخذ سورة الزمر وغافر وفصلت والشورى سنتدبر في أسماء وصفات وأفعال هذا تمرين على أنكم تأتون اللقاء القادم ونكون مررنا على هذه المرحلة.

بذلك نكون انتهينا من المرحلة الأولى ننتقل الآن إلى موضوع ثاني:

موضوع القصص القرآني

اتفقنا أمس أن تقرؤوا سورة القصص هل لاحظتم شيئًا؟ توجد ملاحظة مهمة في قصة موسى–عليه السلام– وأنت تقرئين هل لاحظت شيئًا؟ هل قرأتم في سورة القصص كلمة (بني إسرائيل)؟ انظري جيدًا: عندما يحكي الله–عزَّ وجلَّ–عن موسى وقومه وصف قوم موسى بأوصاف ما هي أوصافهم؟ أنت عرفت أن الله يتكلم عن مَن؟ وجدت أن الله–عزَّ وجلَّ–يصفهم أولًا أنهم طائفة، وأنهم الذين استضعفوا–أنا أريد اسمهم قبل أن يحصل منهم أي شيء–تحتاجين أن تبحثي جيدًا من أجل أن تجيبي، الآن السورة كلها تتكلم عن قوم مستضعفين منَّ الله عليهم، طوال السورة نسمع هكذا ونسمع عن شيعته.

انظري أول السورة يتبين لك الأمر جيدًا، انظري الآية الثالثة ستفهمين المعني {نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[1] لقوم –لام التعليل– هنا يعني هذا النبأ الذي ستقرؤه هنا من نبا موسى وفرعون إنما هو لقوم يؤمنون أي الخطاب وجه لقوم مؤمنين لأجل أن ينتفعوا. الآن اذهبوا إلى سورة طه في أول السورة يقول الله لنبيه، أريد أن نصل إلى القصة، إلى الحديث عن موسى، إلى قوله {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} الخطاب للنبي –عليه الصلاة والسلام–في طه، في القصص يقول الله إن هذا الخطاب يخاطب به المؤمنين.

انظري القصة نفسها تأتي في سورة طه كلام للنبي–صلى الله عليه وسلم–لأجل ذلك أول حدث أخبر به النبي في قصة طه عن قصة موسى، أي حدث؟ وقت الوحي، قال تعالى: {إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا...} في طه يقول الله–عزَّ وجلَّ–للنبي–صلى الله عليه وسلم–: {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} الخطاب للنبي–صلى الله عليه وسلم–ثم القصة تترتب ليس ترتيبًا تاريخيًا إنما ترتيب على الحدث الذي يهم النبي–صلى الله عليه وسلم–من نقطة وحي الله–عزَّ وجلَّ–إلى موسى ثم يأتي الكلام عن أصل نشأته، لكن نقطة البداية في القصة عن الوحي،

(1) [سورة القصص: 3]

ثم يتكلم الله عن نشأته، أما في سورة القصص لم يرد ذلك من أول القصة، ثم لاحظي الكلام عن الاستضعاف انظر في الآية الخامسة {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ}[1] هم بنو إسرائيل في القصة لكن هذه قاعدة عامة، الآن الخطاب للمؤمنين في مكة يقال: اسمعوا يا أيها المؤمنون قصة فرعون وموسى وانظروا كيف كان (قوم موسى) مستضعفين كما أنتم مستضعفون وانظروا كيف أن الله–عزَّ وجلَّ–أراد أن يمنَّ على القوم المستضعفين كما أراد أن يمنَّ عليكم يا مستضعفين، ثم تأتي القصة بتفاصيلها.

لاحظ القصة تتكلم عن منن الله–عزَّ وجلَّ–على موسى وكيف أن الله منَّ عليه ومنّ على أمّه، كلها بالتفصيل تتكلم عن كيف أن الله–عزَّ وجلَّ–إذا أراد أن يمنَّ على قوم مستضعفين يهيّئ لهم من يقودهم للخروج من الاستضعاف، إذًا هذه القصة هي نفس القصة قصة موسى، لكن عرضها هنا في القصص غير عرضها في طه، هنا الكلام عن يا أيها المستضعفين أيًا كان ضعفكم، انظر كيف عندما يريد الله أن يمنَّ على المستضعفين ويخرجهم، ماذا يفعل لهم؟ يهيّئ لهم مَن يقودهم ويهيّئ لهم أسبابًا عجيبة.

بدأت سورة القصص في وصف حال موسى وأمه في حالة الضعف الشديد الذي كانوا فيه وكيف كان يمكن أن يُقتل، ومع ذلك كيف نجاه الله–عزَّ وجلَّ–أعجب نجاة!! كان الله قادرًا على أن يأتي موسى في السنة التي لا قتل فيها لكن لتعرف كيف أن الله يمنَّ على الذين استضعفوا ويخرجهم من مضائق المسائل، وكيف أن الله–عزَّ وجلَّ–يدبر للنبي الذي سيكون سببًا لهلاك قوم فرعون، يدبر له أن يتربى في بيت فرعون، كل هذا تسمعه في سورة القصص.

كم مرة سمعت كلمة (خوف) في القصص في مقابل أنها وردت في طه مرة واحدة؟

فكأنه تصوير للحالة التي كانوا فيها، ويقال لك: مهما كنت مستضعفًا في دينك ركز جيدًا وانظر لموسى وانظر لقومه وانظر لفرعون كيف كان له غاية السلطة وهو في غاية الكِبْر وغاية السلطة ماذا يفعل الله–عزَّ وجلَّ–به؟ يخسفه ينزله، كيف دبر الله هذا التدبير؟ بأمر عظيم غاية في اللطف لا يمر على الخاطر، عندما يريد الله–عزَّ وجلَّ–أن يمنَّ على الذين استضعفوا يمنَّ عليهم بأبواب لا تمر على خواطرهم، لكن كل القصة أن تبقى متيقنًا

(1) [سورة القصص: 5]

أنه–سبحانه وتعالى–من وقف ببابه لا يخذله ولا يرده، بل كلَّما زدت ضعفًا وتعلقًا بالله–سبحانه وتعالى–كلَّما أنجاك من باب لا تدركه من الأبواب.

المقصد كيف تصلين إلى هذه الملاحظة؟ إلى هنا لا أحتاج أبدًا التفسير، أنا سأرى هذه السورة الآن عندما وردت فيها قصة موسى وردت كلها بتفاصيلها أم ورد جزء منها؟ كيف بدأت؟ هل بدأت بتسلسل تاريخي أم بدون تسلسل تاريخي؟ كل هذا له أثر وعلاقة بنفس السورة.
انظر لسورة طه أولها ماذا يقول الله–عزَّ وجلَّ–؟ {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} انظري لآخر السورة، قبل النهاية توجد قصة، قصة آدم، انظري هل وردت كلمة (تشقى) في قصة آدم؟ نعم في آية (117) {إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}، إذاً بدأت السورة {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} وأخر السورة قصة آدم حذَّره الله أن يطع عدوه فيشقى.

نذهب إلى آية (123) وقع قدَّر الله وخرج آدم من الجنة وأهبطه إلى الأرض ماذا قال له؟ {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} فمن البداية ما أُنزل القرآن لتشقى ولا أنزل الله ذكرًا من السماء إلى الأرض واتبعته وستشقى أبدًا.

السؤال الآن هنا: قصة آدم ما علاقتها بسورة طه؟
قصة آدم علاقتها بسورة طه كأنها تشير إلى أول الخليقة. وكيف حصل الشقاء؟ في عدم طاعة الله وطاعة العدو ثم مع ذلك تداركت بني آدم الرحمة وأنزلهم الله إلى الأرض، وجعل الحبل المتين الذي هو كلامه–سبحانه وتعالى–سبب بينهم وبينه لحفظهم ومنعهم من الشقاء، فأخر السورة تحكي عن أول السورة {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} ولا أنزل من السماء إلى الأرض ذكر لتشقى، بل لو تمسَّكت لا تشقى، هذا من أول السورة لآخره فأنت الآن تتكرر عليك بعض الكلمات في السورة ليس من المنطق أن تقرأ السورة من أولها إلى أخرها ولا تلاحظ تكرار كلمات: (تشقى، يشقى) وردت ثلاث مرات وخصوصًا لو كنت تحفظينها، أين عقولنا ونحن نحفظ أو ونحن نقرأ؟ أنا لا أقصد الانتقال إلى كتب التفسير فقط أريد علامة استفهام كم مرة جاءت كلمة تشقى؟ لو قرأت بكل سهولة أول السورة يقال لك: {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} وآخرها {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} ألا تستطيع الربط بينهم؟ القرآن لم ينزل ليشقى العبد وفي النهاية يقال لك: الذكر الذي ينزل من السماء لو اتبعته لا تضل ولا تشقى.

قراءتك بتركيز وعناية للقرآن تأتي بهذه النتيجة، ولا نريد روابط عميقة، وأنا لم أذكر الرابط العميق، أنا فقط ذكرت لك كلام يوضح لك أن هنا يوجد (تشقى ويشقى) فقط، ولو قرأت في طه ستأتي (يشقى) ثلاث مرات واسم (الرحمن) ثلاث مرات، ولا بد أن تكون هناك علاقة بين الرحمن وبين نفي الشقاء لا بد، فالرحمن لا يمكن أن ينزل عليك كتابًا لتشقى.

المقصد الآن أنك المفترض أن تقرأ في سورة القصص وأنت تقرأ في سورة القصص ماذا يحدث؟ لا بد أن تنتبه، عندما أسأل أحد: كم مرة وردت قصة موسى؟ أحسن جواب: كثير! كم مرة وردت قصة أدم؟ كثير! فقط هذه الإجابة التي تأتي، ولا تنفع هذه الكلمة يجب أن تكون بكل دقة.

نختم كلامنا حول علاقتنا بالقصص القرآني ماذا سنفعل؟ سنحدد قصة واحدة على أننا نقوم بعملية متابعة لها ونتفق كيف تكون المتابعة نبدأ بقصة موسى–عليه السلام–سنختار قصة موسى، اخترت القصة بدأت بالموضوع وعلى أساسه ستنفذين على باقي السور.

ماذا ستفعلين الآن؟

مطلوب منك (4) طلبات وأنت تقرئين وردك:

1. كل مرة تصلين فيها إلى موطن فيه قصة موسى تكتبين: وردت قصة موسى في سورة البقرة من آية كذا إلى كذا تخرجين بجدول فيه اسم السورة ورقم الآيات التي ذُكرت فيها القصة. انتهينا من المطلب الأول.
2. على فرض أنك إلى شهر تكونين مررت على المصحف كله وتتبعتيه في كل القرآن، وعرفت بعد ذلك أين وردت القصة في القرآن.
3. في كل موطن تقرئين فيه القصة مطلوب منك أن تحدّدي الأحداث التي ذُكرت في هذا الموطن، (مثلًا ذُكر في هذا الموطن الوحي، وذكر في هذا الموطن قصة ولادته–صلى الله عليه وسلم–، وذكر في هذا الموطن قصة السامري مثلًا، وقصة إرساله–بعثه–تذكرين محاور القصة وليس الآيات، كأنها عناصر الأحداث التي حدثت).

مثال: في قصة موسى، قصة السامري ما أتت إلا في موطنين في الأعراف وفي طه، بعد ذلك يأتي سؤال استفهام (لماذا؟) الآن فقط تحددين الأحداث التي وردت عن القصة في هذه السورة، هل ذكر الكلام عن السحرة أم فقط ذكر ختام الموقف وأن الله أهلك فرعون؟ هل ذكر هلاك فرعون بالتفصيل أم بالإجمال؟ لا تختاري كثير اكتبي أي تعبير تستطيعين أن تعبري أنتِ فقط تشكلين فكرة في رأسك، كوني يسيرة يسِّري الأمر على نفسك لا تعقدي المسألة فقط تريدين أن تعرفي هنا ماذا ذكر؟ مثلًا قصة موسى مع مدين أين ذكرت؟ هل ذكرت في كل المواطن أم موطنين أم كم موطن؟ هذا سيفيدنا بعد ذلك عندما نبدأ نتناقش، لا بد أن تحرري المسألة حتى لما نلتقي نتناقش.

4. نريد أن نحدّد–أثناء البحث–ألفاظًا أو أوصافًا متعدّدة لحَدَثٍ واحد أو لموصوف واحد. مثال: عصا موسى ذكرت بصفات مختلفة (ألفاظ مختلفة)، ذُكرت أنها (ثعبان – وأنها حيّة– وأنها جانّ) وأنت تقرأ في كل موطن المفترض أن يلفت نظرك، ما العلاقة؟ (ثعبان مبين، حية تسعى، وكأنها جان ّ) أكيد لو جمعت هذه الأوصاف سيعطيني معنى، هذه العصا تحوَّلت إلى حية من نوع الذكور الكبير الذي هو الثعبان، وكانت حركتها سريعة لأن الجان نوع من الحيات قويّة الحركة قويّة الاهتزاز، فهذا موطن ورد في القصص موطن ورد في (الأعراف موطن ورد في النمل). صفي عصا موسى معًا: حية من نوع الثعبان (الذكر الضخم) شديد الحركة كأنها جان، من أين أتت؟ من جمع موصوف واحد بأوصاف متعددة. هكذا ستجدين مثل هذا، حدث واحد وُصف بأوصاف متعددة، مطلوب منكِ أن تجمعيه في مكان واحد. في القصة تأتي أحداث توصف، كل مرة توصف بوصف آخر. فأكيد أن جمع الأوصاف يعطينا صورة مختلفة.

عندنا اتجاهين:

إما أن أدرس السورة أو أدرس القصة، لو درست السورة سيكون طريق، ولو درست القصة سيكون طريق، أريد أن أدرس القصة من أجل أن يكون عندي عملية تجميع، ثم لما أدرس السورة تؤثر عليَّ دراسة القصة.

5. نريد أن نعتني بالألفاظ الغريبة التي ترد في القصة–أي ألفاظ غير مفهومة– لا تتسرعي في تحديد أن هذه الكلمة لا تعرفين معناها، ماذا أفعل؟ تعالي إلى كل كلمة تظنين أنك لا تعرفين معناها وجربي أن تعبري عنها بكلام من عندك، تجدين نفسك حتى الكلمات التي ترين أنك

تعرفي معناها لا تستطيعي أن تعبري عنها؛ لأن العلم هو ما تستطيع أن تعبر عنه. فستجدين أن الكلمات الغامضة مقياسها غير صحيح، متى تكون الكلمة غير غامضة؟ عندما تستطيعين أن تعبري عنها تعبيرًا صحيحًا، لكن ما دمتِ لا تستطيعين التعبير عنها؛ إذًا لا تعرفينها ولا تفهمينها. وإن كنتِ تقولين: أنا مدركة معناها. نقول: الإدراك شيء غير العلم، العلم هو أن تستطيع أن تعبر عن المدرك عنه، يعني أنت تدرك مسألة تدرك أن الإيمان شيء يقر في القلب تدرك حلاوته تدرك أنه مع التجارب والأيام والخبرة يزيد الإيمان، لكن الآن أريدك أن تعلِّمني كيف أزيد إيماني؟ زيادة الإيمان لا تكون علمًا إلا إذا استطعت أن تترجم لي إياها، لا تصبح علمًا إلا إذا استطعت أن تقول لي: اسمع من أجل أن تزيد الإيمان فتح عيونك واقرأ في كتاب الله وانتفع منه، بعد ذلك انظر إلى آياته الكونية وبعد ذلك افعل وافعل وأفعل من أجل أن يصبح علمًا.

من أعجب ما مر عليَّ من مواقف أن كنت في مدينة من مدن المملكة، تعلمون كيف الشباب يكتبون على الجدران، وجدت شخص كتب: (ما هو الإيمان؟)!! مائة عاصفة أتت! لماذا يسأل؟! شاكّ؟ عنده ضعف؟ متشتت؟ يريد أن يثير أذهان الناس؟ ماذا يريد؟ السؤال هذا يثير عندنا مشاعر أن الناس عندهم مشكلة، هناك أشياء نطالبهم بها ولا نترجمها لهم، نقول لهم: لا بد أن تحبوا ربنا. وهم لا يعرفون الله! نقول لهم: لا بد أن تؤمنوا ونحن لا نفهمهم ما هو الإيمان! نقول لهم: لا بد أن تكونوا أشخاص محترمين. وهم لا يفهمون أن الاحترام إعطاء كل ذي حق حقه مثلًا! هذه علة كل واحد فينا يعرف يقرأ ويكتب لا بد أن يعرف كيف يعبر، تجتهد في ماذا؟ لا بد أن تقضي وقتك في الكتاب الذي لو تمسكت به لا تضل ولا تشقى، أي شيء آخر لا بد أن فيه نسبة من الضلال والشقاء، قلوبنا لا بد من تخليتها.

نريد منكم أن تبحثوا عن الكلمات الغريبة ليس فقط التي لا تدركينها، بل الكلمة الغريبة التي تشعري أنك لا تستطيعين التعبير عنها، تكررينها ولا تعرفين معناها. مثلما تكلمنا أمس عن شجرة السدر التي هي معروفة وبالذات أهل الجزيرة العربية، وفي النهاية خرجنا بأننا لا نعرف كلمة نكررها! كأن المطلوب مني أن تستوقفني كل آية وكل كلمة وأسأل نفسي: هل هذه الكلمة أستطيع أن أفكر فيها وأعبّر عنها أم لا؟ لكن هذه النقطة الرابعة لا تنتظروا اللقاء من أجل أن نتفاهم فيها اقرأ من أجل أن تغذي نفسك وتأتيك الصورة واضحة عن معنى الكلمة. لأن هذا يسير الجواب عليه. يعني صار ثلاث نقاط ستتابعونها وبعد ذلك نأتي مع بعض ونتفاهم، النقطة الرابعة: أنت بنفسك كل كلمة تمر عليك أعطي نفسك فرصة أن تعبر عنها، تشرحها لأحد، مثال: كلمة

(تشقى) ما معنى كلمة (تشقى)؟ عكس السعادة. هذه طريقة متأخرة في شرح الأمر أن أشرح الشيء بضده، لا بد أن أشرح ما معنى الشقاء؟ وحتى السعادة كلمة ضائعة على ناس كثيرون لا يعرفون معناها.

ففي النقطة الرابعة المطلوب مني حتى أعرف ما هي النقطة الغامضة علي، أجرب نفسي بأن أشرح هذه الكلمة لأحد ما معنى تضل؟ ما معنى تشقى؟ وما الفرق بينهم؟ غالبًا تجد إجابات سهلة على هذه الأسئلة، في كتب التفسير في كتب اللغة في المعاجم إلى أخره. ستجد نفسك أعملت عقلك، ففي السابق كان هناك تعطيل، وسنأتي إلى هذه النقطة، نقول: نحن قلوبنا امتلأت صورًا ومشاغلًا غير القرآن! لذلك مما يدمِّر قلوب الخلق: كثرة مخالطتهم للخلق، بالذات أقوله للشباب، كثرة مخالطتهم بدنيًا وكثرة مخالطتهم بما يتابعونه في وسائل الإعلام! ما داموا يقلبون في هذه القنوات ويرون فيها فلان وعلان حتى القنوات التي نسميها إسلامية وصالحة حتى هذه القنوات، المسألة تحتاج لشيء من الاتزان لا تقلب على نفسك الصور وتنتقل من هنا إلى هنا وتجد نفسك مشتتًا، يجب أن تضع لنفسك خطة وتعرف أنت أين مكانك؟ أما من يتابع المسلسلات والبلاءات فلا تسأل عن قلوبهم! هؤلاء يصلون وهم يفكرون في نهاية هذا المسلسل الذي يرونه، انظري للحرب التي تحدث علينا عندما يقترب رمضان، انظري كيف ترمينا هذه القنوات بأسهم الشيطان! انظري للشباب كيف يجدون أنفسهم لا استعدوا لرمضان بالإيمان ولا لما أتى رمضان استطاعوا أن يخلوا قلوبهم للإيمان. بعد ذلك يقول لك: ما فيها شيء أنا أرى وبعد ذلك أذهب للصلاة، قلبك مكان واحد إما يخلو لذكر الرحمن أو يكون بيت للشيطان، لا حل ثالث. لذلك كلما قلّبت من أجل أن ترى، كلما تقلّب قلبك الذي أصله يتقلب، قلبك اسمه قلب لماذا؟ لأنه يتقلب.

ونحن في مجالس الذكر ونحن نتعلم ولا نستطيع أن نمسك قلوبنا! كيف وقلوبنا تتقلب وينظر إلى هذا وإلى هذا ويتابع هذا والناس اليوم مسلسلات بالمائة حلقة وثمانين حلقة! هذا كله عبث بقلوب الأبناء، عبث بقلوب النساء، عبث بقلوب شباب الأمة، عبث، صور صور مليئة في قلوبهم وطيلة الوقت يفكر هذا ماذا سيفعل وهذا ماذا كان، كل هذا أكيد سيشغل القلب عن الرحمن أكيد! وقد مضت سنين طويلة كان الناس يظنون أنهم يمكن أن يجمعوا بين الإيمان والشيطان! لكن لا بد أن نتنبّه أنه لا يمكن!

ثم إن لـذّة تجـدها في القـرآن والله ستشـفيك، لكـن أنـت فقـط توسَّـل إلى الملـك العظـيم أن يحبـب إلى قلبـك الإيمـان ويزينـه ويـبغِّض إلى قلبـك كـل مـا هـو فسـق، هـذا الفعـل لـيس مـن فعـل الخلـق إنمـا هـو حقًـا مـن فعـل الـرب لمـن كـان صادقًا، فإن كنت حقًا صادقًا تريد السعادة وطرد الشقاء، فإن مَن تابع الذكر لا يضل ولا يشقى أبدًا يقينًا.

نختم اللقـاء بالكـلام مـرة أخـرى حـول أسـباب زيادة الإيمـان ونقـول: سـنقبل علـى موسـم عظـيم نسـأل الله أن يبلغنـا إياه، وإذا مـا بلغنـاه بأعمـارنا نسـأل الله أن نبلغـه بقلوبنـا، نريـد أن نعـيش أيامًـا قادمـة ينظـر الله إلى قلوبنـا فيجـد شوقًا إلى الأيام الفاضلة.

- وهذا الشوق بنفسه موطن من مواطن الأجر.
- الشوق لا تعرفه إلا عندما تعرف الحرم، الشوق لا تعرفه إلا عندما تعرف رمضان.
- الشـوق لا تعرفـه إلا عنـدما تعـرف الحـج هـذا الشـوق، عاصـفة تمـر بالقلـب فتشـعر أنـك تـودُّ أن تكـون هناك، تسمع الأذان في الحرم، ومثله في رمضان، ومثله في الحج.

المقصـود: ينظـر الله إلى قلبـك وأنـت تـذكر هـذه الأيام الفاضـلة، فـيرى شـوقًا لطاعتـه، فـإذا كـان هنـاك شـوقًا للطاعـة ستلين القلوب. ما الذي يشوِّقنا للطاعة؟

- قلة عنايتنا بالدنيا.
- أخذنا بأسباب زيادة الإيمان.

لا تنشـغلوا عـن القـرآن، لا تنشـغلوا عـن الـرحمن، لا تنشـغلوا بالـدنيا، رأس كـل خطيئـة: حـب الـدنيا، التعلـق بهـا، الطمع! كن طمِعًا في رحمة الله، كن طمعًا في رضاه، اطمع أن ينظر الله إليك فينزل رحماته عليك.

أسـأله–سـبحانه وتعـالى–بمنِّـه وكرمـه وهـو القـادر علـى كـل شـيء أن يشـرح صـدورنا بالإيمـان وأن يحبـب إلينـا الإيمـان ويزينـه في قلوبنـا وأن يكـره لنـا ويـبغض لنـا الكفـر والفسـوق والعصـيان وأخـص بـذلك الشـباب، أسـأل الله أن ينـزل عليهم رحماته، أسأل الله أن يحبب إليهم الإيمان حبًا جمًا، ويبغض إليهم الكفر والفسوق بغضًا جمًّا، اللهم آمين.

جزاكم الله خيرا

السلام عليكم ورحمة الله.